الفصل الرابع:

سلاسل دار المعارف.. سلاسل من ذهب

سلاسل من ذهب أصداتها دار المعارف للثقافة العربية خلال الأربعينيات والخمسينيات والستينيات من القرن الماضى، اقترح إنشاءها عمالقة الفكر والأدب، واضطلع بتنفيذها خيرة رجال دار المعارف..

(١) مولد سلسلة «اقرأ»

طه حسين

بهذا الفعل الجميل (اقرأ) تدعوك دار المعارف إلى قراءة تراث هذه السلسلة العريقة بأقلام كبار كتابنا لتعيش معهم كما عاش الآباء والأجداد وتكون فى مكتبتك موسوعة متفرقة فى فروع المعرفة المختلفة..»

(من مقدمة السلسلة على أغلفة كتبها الأولى)

فى شهادته التى كتبها عقب وفاة طه حسين فى آخر أكتوبر من عام ١٩٧٣م، كتب المرحوم "شفيق نجيب مترى" صاحب دار المعارف آنذاك، تحت عنوان (أيام مع طه حسين):

"ومن أيامه معى يومَ طرحت فيه أمامه فكرة سلسلة من الكتيبات تصدر مرة كل شهر، زهيدة الثمن رفيعة المستوى، مؤلفة غير مترجمة، بأقلام كتّاب من كل طرف من أطراف الوطن العربى، يقرؤها العرب فى كل ربا من أرجاء الوطن العربى.

كان ذلك فى يوم من أيام عام ١٩٤٢م، فانطلق، رحمه الله، بما معناه: إنَ العرب الذين نراهم اليوم منقسمين، ونرى أهواءَ هم شتَى، لن يجمع كلمتهم - يوم تجتمع - إلا نسيجَ فكرى متجانس، تنسج خيوطه أقلام كتّابهم جميعًا، فيشترك فى قراءة آثار أقلامهم قراء العربية قاطبة.. بمثل هذا ستجتمع كلمتهم يومًا بفضل الله.

أصدر سلسلتك يا شفيق، وسمها «اقرأ»..

وقد أتحفها بكتابه الأول «أحلام شهرزاد» فكان فاتحة الخير العميم والبركة الشاملة"..

هكذا ولدت سلسلة «اقرأ»، أقدم وأعرق بل أول سلسلة كتب جماهيرية، فى مصر والعالم العربى، ويقدر لها أن تكون أهم سلسلة من الكتب الثقافية الرفيعة ويكتب لها الانتشار والذيوع لا فى مصر وحدها بل فى أنحاء العالم العربى كله. ومنذ كانت فكرة تجول فى خاطر صاحب الدار "شفيق مترى" عام ١٩٤٢م، وحتى ظهر أول كتبها فى ١٩٤٣م، عمل صاحب الدار بمعاونة محررها الأول عادل الغضبان، وبتشجيع ودعم هائل من العميد "طه حسين"، على التحضر والاستعداد الجيد لتنفيذ المشروع.

وفى فبراير من عام ١٩٤٢م، أخرجت دار المعارف سلسلة كتبها الشهيرة «اقرأ»، وانتقت من بين ألمع نجوم الفكر والثقافة فى العالم العربى آنذاك؛ "طه حسين وأحمد أمين والعقاد وعلى الجارم وآخرين"، لجنة مُكرَسة لقراء الكتب المرشحة واختيار ما يصلح منها للنشر، وتكون مسؤولة عن السلسلة وكتبها. واستهلت السلسلة بكتاب «أحلام شهر زاد» "لطه حسين"، الذى كتب فى مقدمته للكتاب "عنوان هذه السلسلة خير ما يوجه إلى الأفراد والجماعات بل هو خير ما وجه إلى الإنسان منذ تحضر حتى الآن".

على الجارم

تم تدشين «اقرأ» التى "تصدرها دار المعارف بمصر فى طباعة أنيقة بمعاونة حضرات الدكتور طه حسين بك والأستاذ عباس محمود العقاد، والأستاذ فؤاد صروف"، وكتب محرر الدار يعرف بها "سلسلة كتب شهرية تعمل على تيسير المطالعة الممتعة النافعة وإدخالها إلى كل منزل فى كل مدينة وقرية، أشبه بجامعة شعبية بما تقدمه إلى الشباب والشيوخ من مختلف ألوان الثقافة وصنوف المعرفة. نواة صالحة لإنشاء مكتبة زهيدة الثمن عظيمة الفائدة فى كل منزل يستفيد منها الشباب والشيوخ على السواء".

كان صدور سلسلة ثقافية شعبية، وجماهيرية، للمرة الأولى، اجتمعت لها هذه الصفوة حدثا "جللا"، تابعه عموم القراء فى العالم العربى أجمع، واستهل تقليدا عظيما، بأن يقوم كبار الكتاب والمفكرين بالتوجه مباشرة إلى "القارئ" العادى، القارئ غير المتخصص، الذى يبتغى المعرفة المبسطة التى تجذبهم إلى المزيد، ومن خلال كتب هذه السلسلة قدم هؤلاء الكبار إحاطة موضوعية، دقيقة وعميقة، لعديد من الموضوعات والقضايا التى لا يستغنى عنها "مثقف" عصرى.

والمطالع لإنتاج هؤلاء العلماء وقادة الفكر والبيان وأعلام الثقافة فى مصر والعالم العربى، فى كتبهم التى كانت تصدر عن السلسلة فى قطع صغير أنيق وعدد محدود من الصفحات، سيكتشف من الصفحات الأولى أنهم لم يقصدوا مخاطبة قارئهم

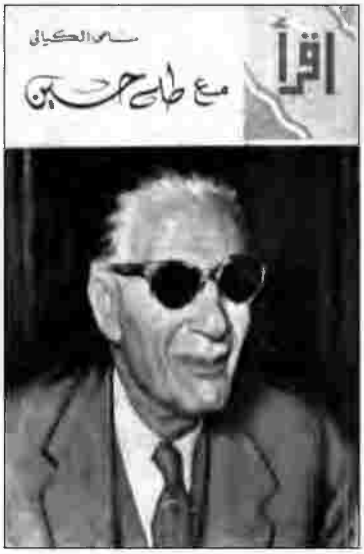

بأى لون من ألوان التعقيد أو الإغراق فى مصطلحات وتفاصيل لا تهم سوى المتخصصين، كانت غايتهم "تثقيفية" فى المقام الأول، تقديم وجبات شهية من ألوان وصنوف مختلفة من المعارف والفنون والآداب ليضعوها أمام الراغبين من الشباب والقراء، يفتحون لهم أبواب المعرفة و يحثونهم على طلب المزيد. هذه الغاية الجليلة تتضح من الافتتاحية التى كتبها "طه حسين" للسلسلة الناشئة، يقول:

"إن الذين عُنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها، لم يفكروا إلا فى شىء واحد، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية، وأن ينتفعوا وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها".

أما برنامج السلسلة وطموحها والغرض منها، فعرضه "طه حسين" فى الافتتاحية المشار إليها، إذ يؤكد بوضوح ونصاعة أسلوبه الجميل أن "إنشاء هذه السلسلة من الكتب القصيرة اليسيرة الرخيصة، جاءت ليسهل شراؤها وتهون قراءتها ويقرب الانتفاع بها والاستمتاع بما فيها ولا يشق ثمنها على أوساط

النـاس ولا فقرائهم. ومثل تلك السلاسـل جهد من الجهود التى تبذل فى سبيل نشر الثقافة وترقية الشعب وإزالة الفروق بين الطبقات".

ويوضح "طه حسين" أن النية فى تلك السلاسل وأشباهها "أن تكون على يسرها وقربها متنوعة أشد التنوع وأنفعه؛ فهى تنشر المؤلفات الحديثة كما تنشر الآثار القديمة وهى تنشر الآثار التى تؤلف كما تنشر الآثار التى تترجم، وهى تنشر من هذا كله فى كل فرع ممكن من فروع الإنتاج العقلى: فى الأدب الإنشائى وفى الأدب الوصفى، فى العلم الخالص وفى العلم التطبيقى، فى السياسة، فى التاريخ، فى العمران والاجتماع، فى كل لون من ألوان هذا النشاط الذى يجعل العقل الإنسانى منتجا فى جميع فنون المعرفة".

وسيدهش القارئ الكريم عندما يعرف أن هيئة تحرير السلسلة كانت تتكون من الأعلام السابق ذكرهم (طه حسين وأحمد أمين وعلى الجارم وعباس محمود العقاد وآخرين)، وأن اسمها «اقرأ» جاء باقتراح من الرائد الكبير «أحمد أمين»، وكتب لها الكلمة الافتتاحية «طه حسين»، وصدر أول أعدادها بعنوان «أحلام شهرزاد» «لطه حسين»، لتتوالى بعدها أعداد رائعة منها: شاعر الغزل «لعباس محمود العقاد»، «وجميل بثينة» له أيضا، وعود على بدء «لإبراهيم عبد القادر المازنى»، وشاعر «ملك لعلى الجارم»، ومذكرات دجاجة «لإسحق موسى الحسينى»، والمذاهب السياسية المعاصرة «لعلى أدهم».. وهلم جرا.

كان طموح القائمين على السلسلة، وبخاصة «طه

حسين»، هو تيسير سبل المعرفة الحديثة لكل الراغبين فيها، وخاصة من الشباب، وأن تكون متاحة فى كل مكان فى القاهرة والمحافظات، وكانت دار المعارف فى ذلك الوقت تتصدر مؤسسات النشر المصرية والعربية بامتلاكها أكبر شبكة توزيع وتسويق داخل مصر وخارجها على السواء.

لكن وراء هذا السبب الظاهر تحليل عميق لأزمة القراءة بشكل عام واتساع الفجوة بين المادة المقدمة للمتخصصين وبين تلك التى تقدم لعموم القراء، عرض «طه حسين» جانبا منه فى مقدمته، بقوله «وليس كل ما ينتهجه العقل الإنسانى ميسر القراءة للناس، فهناك الممتازون فى الثقافة ولكن هناك أصحاب الثقافة المتوسطة وأصحاب الثقافة المتواضعة. وليس من اليسير أن يسيغ أولئك وهؤلاء خير ما يثمره العقل الإنسانى من الإنتاج. فلا بد إذن من أن يأخذوا منه بحظ ما، لا بد من أن يرتفعوا إليه شيئًا ومن أن يهبط شيئًا، حتى يكون هذا اللقاء الخصب الذى يعم به نفع العلم والفلسفة والأدب».

هكذا، ومنذ البداية، كانت الغاية واضحة والهدف محدد والآلية متاحة، كان هؤلاء الرواد من مشعلى العقول، يقرأون ليفهموا أنفسهم أولا والعالم ثانيا، ومن ثم يستطيعون أن يقدروا موقعنا من هذا العالم، ماذا نحن فاعلون؟ وماذا يمكن أن نقدم للبشرية مثلما قدم الآخرون؟.. اختط كل منهم طريقه، حسب رؤيته ومجال تخصصه، والدوائر التى يمكن أن يمارسوا فيها أدوارهم التنويرية، بدءا من قاعات الدروس داخل أسوار الجامعة، يعلمون طلابهم ويغرسون فيهم بذرة السؤال وجرثومة المعرفة، وليس انتهاء بالكتابة على صفحات الجرائد والمجلات. لكنهم فى الوقت ذاته، كانوا يعون جيدا أن هذا ليس كافيا، كانوا ضد الدوائر المغلقة، آمنوا بأن المعرفة حق للجميع، وأن دورهم الأول والأساسى هو «التثقيف»، الوصول إلى الناس لا التعالى عليهم

واحتقارهم، الارتقاء بملكاتهم وقدراتهم وتوسيع مجال استجابتهم لكل أنواع العلوم والثقافات والفنون والآداب.

لن تجد واحدًا من الأسماء المذكورة فى هذه الفترة لم يتوجه لقارئ مفترض، يبحث عنه مثلما يبحث هو الآخر عنه، كتبوا فى كل المجالات والفروع بقدر ما تسنى لكل منهم من معرفة وتحصيل، لكنهم دائمًا لم يغفلوا حق الذين يرتقون الدرجات الأولى على سلم المعرفة، يضعونهم نصب أعينهم، يبحثون عن الوسائل والوسائط المناسبة للتواصل معهم.

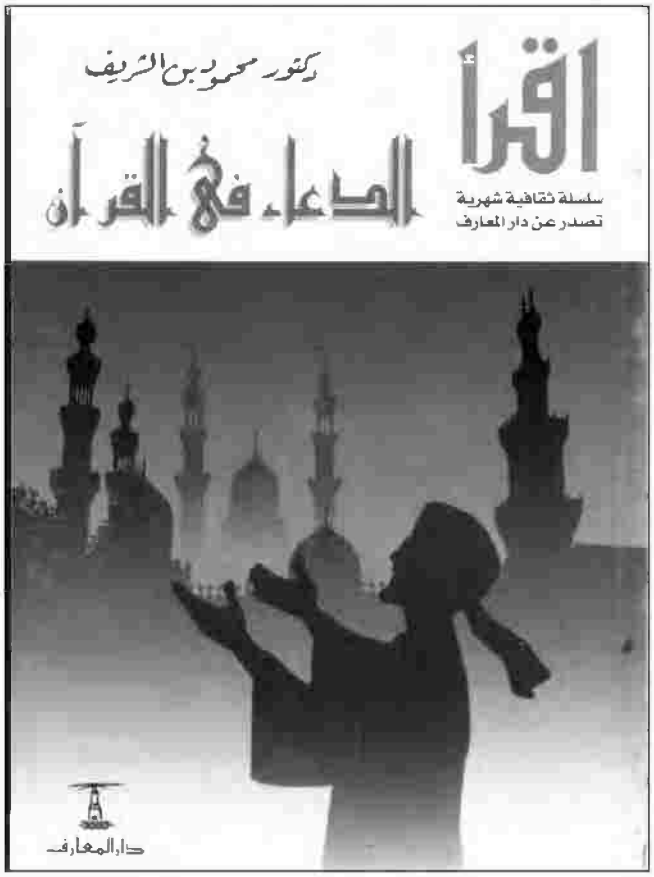

بعد عامين.. وقائع احتفال

بعد النجاح الساحق الذى حققته مطبوعاتها، والرواج الذى فاق حدود التوقعات لأعداد «اقرأ»، احتفلت "دار المعارف" فى فبراير من العام ١٩٤٥م، بمرور عامين على ظهورها، واحتشد فى هذا الحفل مشاهير الكتاب والشعراء والأدباء وأعلام العصر فى الصحافة والفكر من مصر والعالم العربي، يتقدمهم سعادة «يوسف ذو الفقار باشا»، بحسب ما نوهت جريدة الأهرام فى عددها الصادر صباح الجمعة الموافق ١٦ من فبراير ١٩٤٥م.

الملك فاروق الأول

كان الحفل باهرًا ومبهرًا، وألقى «شفيق نجيب متري» صاحب الدار كلمة رحب فيها بالحاضرين ونوه برسالة (اقرأ) بين مصر والأقطار العربية وختمها بالدعاء للملك (الملك فاروق الأول آنذاك). بعدها أنشد الأستاذ «على الجارم بك»، قصيدة من عيون الشعر، وأعقبه الأستاذ «عباس محمود العقاد» فألقى كلمة باسم أعضاء لجنة «اقرأ».

كان ذلك الحدث فريدًا بكل المقاييس، وشهد هذا الحفل الباذخ مباراة أدبية رائعة بين النثر والشعر، تم الإشادة فيها بدور السلسلة عربيًا وأثرها فى توثيق الروابط الثقافية بين الناطقين بالضاد فى مصر وجاراتها الشقيقات. وعندما صدرت الصحف فى اليوم التالى للاحتفال تسجل وقائعه وتغطى تفاصيله، نشرت إحداها صورة لأعضاء لجنة (اقرأ) وهم يقومون بفرز الأصوات لإعلان الفائز بجائزة أحسن كتاب لـ(اقرأ) وكانت هذه اللجنة تتكون من: «شفيق نجيب متري»، «ويوسف مشاقة «(المدير العام المسؤول عن دار المعارف)، والدكتور «طه حسين، وأنطون الجميل، وعباس محمود العقاد، وفؤاد صروف» (وهذا الأخير كان

واحدا من اللبنانيين الذين أسهموا فى نهضة الصحافة المصرية حين تولى رئاسة تحرير مجلة «المقتطف» فى القاهرة عقب وفاة عمه يعقوب صروف).

شفيق نجيب مترى

وتورد صحف هذه الفترة باهتمام كبير تفاصيل اجتماع اللجنة وما تمخضت عنه أعمالها، وفيها وقائع وتفاصيل شديدة الطرافة والمتعة، وتورد إحداها ما يلي:

«بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٩٤٤م اجتمعت لجنة الاستفتاء فى دار مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر بحضور حضرات الأساتذة: الدكتور «طه حسين بك، وعباس محمود العقاد، وفؤاد صروف»، عن لجنة «اقرأ»، والأستاذين «شفيق نجيب مترى» صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر و«يوسف مشاقة» مديرها. وقد صار إحصاء وفرز الأصوات الواردة فبلغ عددها ٢٧,٩ بنسبة ١٨ فى المائة من النسخ التى توزع شهريا نال الكتاب رقم ٨ «مذكرات دجاجة» للدكتور «إسحق موسى الحسينى» بالقدس، باستحسان أكبر عدد من القراء، وكان ذلك بنسبة ٣١ فى المائة من مجموع الأصوات الوارد فاستحق جائزة «اقرأ» لسنة ١٩٤٣م وقدرها سبعون جنيها مصريا. وفاز حضرة السيد "مصطفى البارودى" بمعهد الحقوق العربى بدمشق بالاقتراع السرى من بين القراء الذين استحسنوا الكتاب الفائز فاستحق الجائزة المخصصة لذلك وقدرها ثلاثون جنيها مصريا».

خلال الفترة من ١٩٤٢م حتى ١٩٦٣م ثم ما بعدها، توالت أعداد السلسلة التى شكلت وجدان وثقافة أجيال عدة، على مدار عشرات السنين، ولعبت دورًا خطيرًا فى تلبية شغف وفضول قطاعات واسعة من الشباب فى مصر وخارجها فى «الثقافة» والآداب والفنون والعلوم، بل كانت ملهمة للعديد من دور النشر والمؤسسات الخاصة والحكومية فى احتذاء التقليد وإخراج سلاسل مشابهة تسعى للحاق بالنجاحات التى حققتها «اقرأ» والشهرة الكبيرة التى حازتها على امتداد العالم العربى كله، منها على سبيل المثال سلاسل دار الهلال: (المجلة الشهرية) و(كتاب الهلال) و(روايات الهلال)، وغيرها.

وبالنظر إلى الأعداد التى راكمتها السلسلة خلال ما يزيد على سبعين عاما من انطلاقتها، سيجد الباحث المدقق أنها مثلت بحق «دائرة معارف» حقيقية، وموسوعة غنية مترامية الأطراف متعددة المجالات، وراوحت كتبها بين القيم الروحية والدينية وتعاليم الإسلام ومبادئه، وبين النزعات والمذاهب الفكرية والسياسية والفلسفية الحديثة والمعاصرة، واشتملت كتبها على المعالم الكبرى فى التاريخ العربى والإسلامى وأعلامه وقياداته الفذة فى مضارب البطولة والمعارك والحروب. كما اشتملت أيضا على طائفة مختارة ومتنوعة من أعلام الفكر العربى والفلسفة الإسلامية والعلوم الطبيعية فى القرون الغابرة: جابر بن حيان، ابن سينا، ابن الهيثم.

وعنيت كتب كثيرة من السلسلة عناية خاصة بأعلام الأدب العربى وشعرائه، خاصة من شعراء الحب المثالى أو ما عرفوا بالعذريين؛ أو غيرهم من الشعراء الغزلين الحسيين؛ ومنهم: عمر بن أبى ربيعة، جميل بثينة.

وفى الثقافة العلمية المعاصرة، نشرت السلسلة كتبا كثيرة فى تاريخ العلوم ونشأتها، الفلك وتاريخه، الصيدلة قديما وحديثا، علوم البحار، نشأة الكون، غرائز الحيوان، الغبار الذرى، عصر الإلكترونيات.. إلخ مما يتصل بموضوعات العلم الحديث وقضاياه.

وتحتل الفنون والآداب العالمية؛ موسيقى ومسرح وتشكيل ورقص، مساحة شاسعة من أعداد اقرأ، وركزت فى كثير من كتبها على تعريف القارئ العربى بنجوم الكتابة فى الآداب العالمية: هوميروس، دانتى، ميلتون، شكسبير، جوته، اللورد بايرون، فيكتور هوجو، جان جاك روسو، فولتير، برنارد شو، مكسيم جوركى، فيدور دويستوفيسكى، تولستوى، طاغور، وآخرون.

يقول المرحوم. دكتور شوقى ضيف فى كلمة له عن «اقرأ»: «ولا تكاد تجد كاتبا مصريا كبيرا أو أديبا مصريا مشهورا إلا شارك فى بعض أعدادها: «طه حسين، أحمد أمين، عباس العقاد، إبراهيم المازنى، على الجارم، توفيق الحكيم، يحيى حقى، محمد فريد أبو حديد، محمود تيمور، عبد الوهاب عزام، فتحى رضوان، محمد زكى عبد القادر، سهير القلماوى، عائشة عبد الرحمن، على أحمد باكثير، عبد العزيز كامل، حسين مؤنس، أنيس منصور، إبراهيم زكى خورشيد، وغيرهم كثيرون»..

ويقول المرحوم «يوسف خليف»، أستاذ الأدب العربى بكلية الآداب جامعة القاهرة: «لقد استطاعت هذه السلسلة على امتداد

نصف القرن من الزمان أن تحقق إنجازين كبيرين لهما دورهما المؤثر فى حياتنا الثقافية؛ فهى من ناحية قدمت هذه الخلاصة الميسرة من الفكر الإنسانى والثقافة العالمية لكل من يطلب هذا الفكر ويسعى إلى هذه الثقافة، كأنها خلية من النحل يجمع عصارات الزهر ليقدمها عسلا مصفى، شرابًا مختلفا ألوانه فيه شفاءٌ للناس. وهى من ناحية أخرى، أكدت أهمية الكتاب فى زحمة الحياة المعاصرة، وفى مواجهة تحديات العصر، حين استطاعت أن تحقق هذه الموازنة البارعة وهذا الانسجام الذكى بينه وبين سرعة إيقاع الحياة التى نحياها، واضطراب نبض العصر الذى نعيش فيه، وتشتت معطياته التى نتعامل معها».

قالوا عن «اقرأ».. آراء بعض كبار الأدباء فى السلسلة:

«مشروع جليل القدر كبير الفائدة عظيم الأثر فى تغذية الأدب والثقافة»..

«زاد فكرى فى مختلف أبواب العلم والأدب يستسيغه الجمهور وترضى عنه الخاصة»..

«هذه السلسلة جهد فى سبيل نشر الثقافة وترقية الشعب وإزالة الفروق بين الطبقات»..

«تحية لدار المعارف التى قدمت هذه السلسلة المتواصلة من روائع الفكر والثقافة والفن والأدب، وتحية لهذه السلسلة فى عيدها»..

يوسف خليف.

(٢) «ذخائر العرب».. عيون التراث العربى

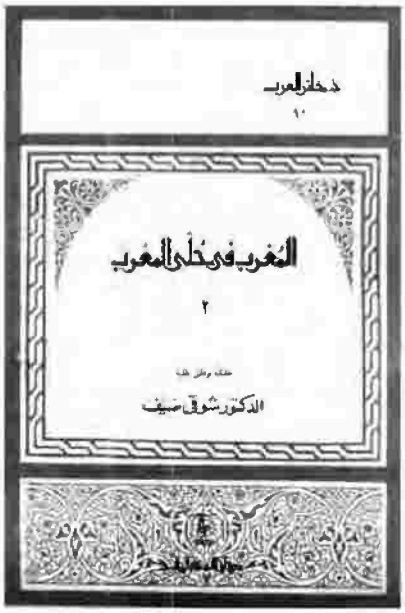

بإجماع عشاق التراث العربى ومتخصصيه، فإن سلسلة «ذخائر العرب» التى أصدرتها دار المعارف فى أواخر أربعينيات القرن الماضى، هى السلسلة الأعرق فى مصر والعالم العربى التى اهتمت بنشر التراث العربى نشرًا راقيًا، يقوم على أسس علمية غاية فى الدقة والعمق، واتبعت فى إخراج الكتب أرفع ما وصل إليه علم تحقيق التراث على يد شيوخه الأفذاذ العظام.

و«تولت دار المعارف بمصر إخراج كتب السلسلة فى قطع متميز وطباعة فاخرة وجودة لا تنافس»، كما كان يشار إلى صنيع الدار فى ذلك الوقت على أغلفة الكتب والمجلات.

ومنذ صدر الكتاب الأول فى «ذخائر العرب»، احتلت مكانة لم تبلغها أى سلسلة أخرى أو أى إصدار آخر فى مجال نشر التراث، ولا شك أن تلك السلسلة التى أصدرتها "دار المعارف" تعتبر أرقى وأعظم سلسلة تراثية عربية ظهرت حتى الآن، ولا يكاد ينافسها سلسلة أخرى سوى «الذخائر» التى أصدرتها الهيئة العامة لقصور الثقافة فى منتصف التسعينيات من القرن الماضى، وهى قياسا بالعمر والتاريخ أحدث طبعا من «ذخائر العرب»، وإن كانت لا تقل عنها فى قيمة ونبل ما أخرجته من كتب التراث العربى خاصة خلال الفترة التى تولى رئاسة تحريرها العلامة الكبير الدكتور عبد الحكيم راضى.

ويروى المرحوم "شفيق مترى"، صاحب دار المعارف والمشرف العام على مطبوعاتها، فى معرض حديث له عن المرحوم الدكتور طه حسين، فيقول: «ومن أيام الدكتور العميد معى يوم سعيت إليه فيه لأفضى بين يديه بخاطر كثيرًا ما جال فى فكرى واختلج فى صدري، وأنا لا أزال أضطرب فيه بين إقدام وإحجام. «ذخائر العرب» التى خلفها الآباء والأجداد، ووقع بعضها فريسة فى بعض الأيدى، فأخرجوها للناس رخيصة مهلهلة، فلا هى موثقة محققة، ولا هى فى ثوب قشيب. وكل ما كان يعنى به أحدهم أن يصدر الكتاب منها وعليه عنوانه ذو الرنين واسم مؤلفه المجيد، فينفد الكتاب فى أيام..

أفلو حققت «دار المعارف» بعض هذه الذخائر النفيسة، وأصدرتها فى الثوب الذى يتناسب مع نفاستها، فأنفقت فى سبيل ذلك ما أنفقت ترى لو أنها فعلت ذلك، فهل تجد من القراء من يقتنيها بعد أن تعودوا الحصول عليها مقابل دريهمات معدودات؟

أنصتَ إلى إنصاتا جميلا، وكان رحمه الله يحسن الإنصات، ثم تدفق بما كان يسعدنى أن أنقله اليوم بنص عباراته:

أهى رسالة أم تجارة؟ اسمع يا أستاذ شفيق!

استقبل الرسالة استقبالك الشمس، واسع فى بلوغها ما استطعت إلى ذلك سبيلا. حينئذ سيتبعك رزقك كما يتبعك ظلك، لا يستطيع منك فكاكًا.

أما من استدبر الرسالة وسعى وراء الرزق، فسيبقى حياته يلهث وراء ظله ليبلغه وما هو يومًا ببالغه..

أصدر يا شفيق ذخائر العرب محققة موثقة على بركة الله»..

وتلاقت خواطر شفيق متري الصادقة وحماسة "طه حسين" الحارة بمقترح إنشاء سلسلة لنشر كتب التراث العربي محققة وإخراجها في ثوب قشيب، تقدم به المحقق الكبير "عبد السلام هارون" سنة ١٩٤٢م، وذلك بعد أن اشترك مع قريبه العلامة "محمود محمد شاكر" في إخراج وتحقيق أهم وأقدم مجموعتين شعريتين عربيتين تعودان إلى العصر الجاهلي، وهما «الأصمعيات» «لعبد الملك بن قريب الأصمعي»، و«المفضليات» للمفضل الضبي، وحققتا نجاحا كبيرًا، وتخطفتها الأيدي، وطبع منها أكثر من طبعة في فترة وجيزة.

ويروى "عبد السلام هارون" بنفسه قصة ميلاد «ذخائر العرب» كما سجلها في كتابه «التراث العربي» (سلسلة كتابك، دار المعارف، ١٩٧٨م، ص ٦١)، يقول هارون:

«وقد بدأت دار المعارف نشاطها في إحياء التراث العربي سنة ١٩٤٢م، حين فكرت أنا وأخي العلامة المغفور له الشيخ أحمد شاكر في نشر مجموعات عيون الشعر سميناها «ديوان العرب». وبدأنا في نشر «المفضليات»، ثم «الأصمعيات». ثم اقترحنا على الدار أن تخصص نشرا منظما لعيون التراث العربي، فسرعان ما استجابت لهذا الاقتراح وقامت بتنظيم تنفيذه».

عبد السلام هارون

وفي سبيل تنفيذ هذا المقترح، أعلنت «دار المعارف» في ذلك الوقت عن مسابقة لتسمية هذا المشروع، ففاز به عنوان «ذخائر العرب» يشترك في تحقيقها علماء الشرق الغرب، وكان باكورة هذه المجموعة كتاب «مجالس ثعلب» في مجلدين، بتحقيق

«عبد السلام هارون» و«إصلاح المنطق» لابن السِّكيت بتحقيقه مع الشيخ «أحمد شاكر»، والطبعة الأولى من «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم تحقيق أ. ليفى بروفنسال.

ويتابع هارون «وتوالى بعد ذلك نشر طائفة كبيرة من تلك الذخائر بلغت الآن ٥٤ كتابًا؛ منها ما هو فى أكثر من عشرة مجلدات، ومنها ما أعيد طبعه أكثر من خمس مرات. ولا تزال تلك المجموعة فى تزايد و نجاح مطرد، نرجو له المضى فى نشاطه واتساعه».

كتب المرحوم «عبد السلام هارون» هذا الكلام فى النصف الثانى من سبعينيات القرن الماضى، وإذا كانت السلسلة قد ظهرت إلى الوجود فى ١٩٤٨م فإنها وخلال الفترة من ٤٨ إلى ٧٨ (أى خلال ثلاثين عامًا) قد أخرجت ٥٤ كتابًا/ عنوانًا من ذخائر التراث العربى، ولو حسبنا عدد الأجزاء التى كان يتكون منها بعض الكتب، وهو الأغلب، وكان يصل إلى عشرة أجزاء فى بعضها، لاكتشفنا بسهولة أن ما طبعته وأخرجته «دار المعارف» خلال تلك الفترة يتجاوز المائة كتاب محققًا ومدققًا فى إطار سلسلة (ذخائر العرب).

ووفقا لقائمة الكتب الثقافية والجامعية لدار المعارف (سنة ١٩٩٣م)، فإن عدد الكتب التى صدرت فى سلسلة «ذخائر العرب» بلغ ٦٥ كتابًا، كان آخرها «ديوان أبى الطيب المتنبى» لأبى العلاء المعرى، فى أربعة مجلدات ضخام، من تحقيق د. "عبد المجيد دياب".

ويظهر من حديث "هارون"، كيف كانت تأتى المبادرات العظيمة وكيف كان يُستجاب لها، حين كان يقوم على مؤسسات النشر العريقة (العامة والخاصة) فى ذلك الزمن؛ أفراد من عينة «شفيق مترى وعادل الغضبان»، فقد كانا مثقفين كبيرين قبل أن يكونا مسئولين عن دار لنشر الكتب. هم فى البدء والمعاد أصحاب رسالة، مثقفون حقيقيون لديهم ميزان من ذهب يزنون به الأفكار والرجال والمشاريع، يتكلمون قليلا

ويعملون كثيرا، بياناتهم وخطاباتهم تتحدث من خلال إنجازاتهم، لهذا تركوا وراءهم من الآثار والإنجازات العظيمة التى تتحدث عنهم وتومئ إليهم، وتتقطع نفوسنا حسرات عما جرى وكان!

ولم يكن اختيار الكتب التى سيتم نشرها وتحقيقها فى السلسلة عشوائيا، بل تم إسناد الأمر إلى لجنة تشرف على السلسلة وتختار عناوينها وتكلف كبار المحققين بالعمل على إخراجها، وكانت هذه اللجنة تتكون من: الدكتور طه حسين بك، الدكتور أحمد أمين بك، الأستاذ على الجارم بك، الدكتور عبد الوهاب عزام بك، إبراهيم مصطفى (صاحب إحياء النحو)، الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر، ومحمد حلمى عيسى باشا» (وزير المعارف العمومية آنذاك)، وكان التعريف الذى اعتمدته الدار ليوضع على أغلفة «ذخائر العرب»، أو حين الإعلان عنها فى أى مطبوعات أخرى كالتالى: «سلسلة تُعنى بإحياء تراث العرب الخالد ونشر نفائسه فى تحقيق دقيق وإخراج فنى بإشراف لجنة من كبار العلماء هم حضرات أصحاب المعالى والعزة والفضيلة..».

كانت الرؤية العامة والعريضة التى تنطلق منها اللجنة فى عملها، وقدمت لها فى باكورة إصدارات «ذخائر العرب» تتلخص فى أن نهضة العالم العربى قد قامت على أساسين خطيرين: أحدهما التراث العربى القديم، والآخر نقل الإنتاج الأوروبى الحديث إلى اللغة العربية، «وليس فى ذلك شىء من الغرابة، فقد قامت نهضة

العالم العربى القديم على هذين الأساسين نفسيهما، فدوّن التراث العربى القديم من جهة، ونقلت آثار الحضارات الأجنبية إلى اللغة العربية من جهة أخرى، ونشأ من ذلك ازدهار تلك الحضارة الإسلامية الرائعة التى لم يصل التاريخ بعد إلى الإحاطة بحقائقها ودقائق تأثيرها فى الحياة الإنسانية العامة».

وبالنظر إلى ما نشر من تراثنا القديم وهو قليل جدا بالقياس إلى ما لم ينشر، «فإنه كان لا بد من تضافر الجهود وتظاهرها على المضى فى إحياء هذا التراث وإذاعة ما لم ينشر منه إلى الآن، وإصلاح ما نشر منه مغلوطا، وتجديد ما نشر منه ثم نفد وقل فى أيدى القراء».

بهذه الطريقة، حددت اللجنة الغاية والهدف من هذه السلسلة، وقدمت أيضا لما سيتم إعادة نشره وتحقيقه فى إطارها، لتؤسس سلسلة «ذخائر العرب»، مسارًا فريدًا ورائعًا فى إخراج كتب التراث العربى، شكلا ومضمونًا ومنهجًا، إخراجًا وتدقيقًا، وتتوالى كتبها فى طبعات مدققة أنيقة يُضرب بها المثل فى روعة الإخراج، وقمة ما وصلت إليه مناهج تحقيق التراث على يد أفذاذ المحققين من الشيوخ والعلماء الأجلاء؛ مثل الشيخ «أحمد محمد شاكر، وأخيه العلامة محمود محمد شاكر، وعبد السلام هارون، والسيد أحمد صقر، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وطه الحاجرى». ومن جيل المحققين الأكاديميين المتازين: محمود على مكي، وشوقى ضيف، ومحمد زغلول سلام، وناصر الدين الأسد، واحسان عباس، وحسين مؤنس، ومحمود الطناحى، وعبد المجيد دياب، وآخرون».

محمود محمد شاكر

ولك أن تتخيل عزيزى القارئ سلسلة يشرف عليها أسماء بقيمة وقامة هؤلاء الأفذاذ، المستوى الرفيع الذى كانت تخرج به إصدارات «ذخائر العرب»، من اختيار الموضوعات والكتب، ومستوى تحقيقها بما بلغته من دقة ومطابقة للأصل، وبما ألحق بها من مقدمات وافية أو كتب لها خصيصًا من دراسات مفصلة غدت كتبًا كاملة بذاتها ملحقة بالنص المحقق، باتت «ذخائر العرب» نفسها تراثًا إنسانيًا رفيعًا بما نشرته وأخرجته ويسرته للباحثين والدارسين ومحبى التراث والعلوم العربية.

ومنذ الكتاب الأول فى السلسلة وحتى الكتاب الأخير، شهرت وعرفت كتب «ذخائر العرب» بالدقة المتناهية فى إخراج النصوص، ومراحل التصحيح والمراجعة التى يمر بها الكتاب سواء من القائمين على نشره وتحقيقه من كبار المحققين وكلهم فطاحل فى علوم اللغة العربية والتراث، أو من الذين يراجعون ويصححون البروفات من العاملين «بدار المعارف»، وفى هذا الشأن يقول المرحوم «محمود الطناحى» فى كتابه «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى» (ص ١٣١):

«وتحرص دار المعارف على أن تكون النصوص التى تخرج فى هذه السلسلة مطابقة لعنوانها، كما أنها تحرص على أن تخرجها فى أنق صورة، ويعد قسم التصحيح فى دار المعارف من أحسن أقسام التصحيح فى المطابع العامة والخاصة». ولقد بلغت سمعة قسم التصحيح والمراجعة فى «دار المعارف» خلال تلك الفترة شأوا رفيعًا وبعيدًا، وكان من يلتحق للعمل به من أصحاب الكفاء والدراية والمواهب الخاصة، وأغلبهم كانوا يستكملون دراساتهم العليا ويبرزون فى مختلف التخصصات بعد ذلك.

صدر الكتاب الأول فى «ذخائر العرب» فى مجلدين بعنوان «مجالس ثعلب»، بتحقيق عبد السلام هارون، وهو من نفائس كتب

التراث اللغوى، وقد نال هذا الكتاب عقب صدوره الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٥٠م.

وافتتح كتاب «مجالس ثعلب» نشر طائفة من عيون تراث العرب فى اللغة والبلاغة والنقد خرجت تباعا فى «ذخائر العرب»، ومنها:

«إصلاح المنطق» لابن السِّكيت، «إعجاز القرآن» للباقلانى، «ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن»، «الموازنة» للآمدى، «الإبانة عن سرقات المتنبى» للعميدى، وكتب أخرى.

على أنَ من أجلَ وأعظم ما أخرجته السلسلة من نفائس التراث الشعرى العربى، تلك المجموعة من الدواوين الكاملة أو شروحات لدواوين أعلام الشعر العربى فى عصوره الأولى، نذكر منها على سبيل المثال: «ديوان امرئ القيس» بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، «شرح ديوان صريع الغوانى»، «ديوان البحترى» فى ٥ مجلدات بتحقيق محمد كامل الصيرفى، «ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب»، «ديوان الشماخ بن ضرار الذبيانى»، بالإضافة إلى «شرح ديوان المتنبى» المنسوب إلى أبى العلاء المعروف والمشهور بـ«معجز أحمد»..

ولا ينسى عشاق التراث ومحبوه تلك النصوص الرائعة من عيون تراثنا النثرى؛ «رسالة الغفران» لأبى العلاء المعرى التى عكفت على تحقيقها ودراستها وإخراجها للناس فى صورتها الأصلية كما كتبها شيخ المعرة الدكتورة عائشة عبد الرحمن،

وأيضا رسالته الأخرى الضخمة «الصاهل والشاحج»، كما أخرج المرحوم أحمد أمين النص الأندلسى الفاتن «حى بن يقظان» مع رسائل مشرقية أخرى دارت حول شخصيتى سلامان وأبسال لكل من ابن سينا وابن النفيس..

سلسلة «تراث الإسلام».. رافد عن الذخائر

وقد بدأت دار المعارف فى سنة ١٣٧٤هـ، إصدار سلسلة أخرى من عيون التراث، يمكن اعتبارها الشقيقة الصغرى لـ «ذخائر العرب»، سمّتها «تراث الإسلام»، كان الكتاب الأول فيها «تفسير الطبرى» أو «جامع البيان عن تأويل آى القرآن» من تحقيق شيخ العربية «محمود محمد شاكر»، وقد خرّج أحاديثه المُحدّث الجليل الشيخ «أحمد محمد شاكر».

صدر الجزءان الأول والثانى من كتاب «جامع البيان عن تأويل آى القرآن» الشهير بتفسير الطبرى سنة ١٩٥٤م، لصاحبه أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)، وكتب على غلافه الخارجى «حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر، وراجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر»، وقد أصدرت «دار المعارف» منه ستة عشر مجلدًا ضخامًا، وقفت فى أثناء تفسير سورة إبراهيم عليه السلام.

وكان الكتاب الثانى فى هذه السلسلة «جوامع السيرة لابن حزم» مع خمسة رسائل أخرى له، وهى:

رسالة فى القراءات المشهورة فى الأمصار، رسالة فى أسماء الصحابة ورواة الحديث وما لكل واحد من العدد، رسالة فى تسمية من روى عنهم الفتيا من الصحابة ومن بعدهم، جمل فتوح الإسلام، وأخيرا أسماء الخلفاء المهديين والأئمة أمراء المؤمنين..

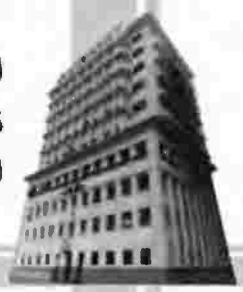

وقد حقق هذا الكتاب الدكتور «إحسان عباس، والدكتور ناصر الدين الأسد، وراجعه الشيخ أحمد محمد شاكر».

كبار محققى «دار المعارف»:

من أبرز أولئك المحققين الذين ازدادت بهم سماء مصر عقودًا من الزمن، واستضاءت بنورهم صفحات المكتبة العربية فى كل فن - العلامة الراوية المحقق اللغوى الأديب المصرى: "السيد أحمد صقر"، المولود عام: (١٣٣٥هـ/ ١٩١٥م)، والمتوفى بالقاهرة عام: (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ويُعدُ العلامة السيد "أحمد صقر"، رابع أربعة فى مصر، هم أعلام تحقيق التراث ونشره فى عصرهم، يوم كان التحقيق علمًا ورواية، قبل أن يصبح اليوم فنًا وصناعة، الذين دخلوا ميدانه بزادٍ قويٍ من علم الأوائل وتجاربهم، ومدفوعين بروح عربية إسلامية عارمة، استهدفت إذاعة النصوص الدالة على عظمة التراث، الكاشفة عن نواحى الجلال والكمال فيه:

أولهم: العلامة المحدث "أحمد محمد شاكر" (١٨٩٢م - ١٩٥٨م)، الحائز - بعد وفاته بنصف قرن - على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، المُقدَم من رئاسة الجمهورية المصرية.

وثانيهم: شقيقه العلامة اللغوى الراوية "محمود محمد شاكر" (١٩٠٩م - ١٩٩٧م)، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والحائز على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام ١٩٨٢م، والحائز أيضًا على جائزة الملك فيصل العالمية فى الأدب العربى عام ١٩٨٤م.

وثالثهم: العلامة اللغوى "عبدالسلام محمد هارون" (١٩٠٩م-١٩٨٩م)، الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية فى الأدب العربى عام١٩٨١م.

(٣) مجموعة «نوابغ الفكر العربى»

عباس محمود العقاد

فى عام ١٩٥١م، وبعد ثمانى سنوات من صدور سلسلة «اقرأ»، وثلاث سنوات من صدور «ذخائر العرب»، بدأت دار المعارف فى نشر سلسلة «نوابغ الفكر العربى» التى استهلها "عباس محمود العقاد" بكتاب عن «ابن رشد».

جاءت هذه المجموعة الجديدة "لتقدم نوابغ الفكر العربى فى جميع العصور، فهى تعنى بالشعراء والكتاب، كما تعنى بالفلاسفة والحكماء، وتتناول أعلام اللغة كما تتناول أعلام التاريخ. يكتب عنهم ويترجم لهم نوابغ الفكر العربى فى العصر الحاضر من كل قطر وبلد عربى. ورأت دار المعارف أن تعهد فى كل بحث من هذه البحوث إلى المختصين به وذوى الخبرة والدراية فيه، فيجولوا فيه ويتبعوه بباب واف للمختار من روائع المترجم له، مفسر المعانى مبين الأغراض»، بحسب ما سجل محرر السلسلة على ظهر أغلفتها المتتابعة.

ومنذ الكتاب الأول وحتى الكتاب الأخير، جاءت كتب المجموعة كلها وفق تخطيط محدد يقوم على قسمين؛ الأول يتضمن ثلاثة فصول يعالج أولها العصر الذى ظهرت فيه الشخصية بأركانه الأساسية: الحياة السياسية، والحياة الاجتماعية، والحياة العقلية والثقافية، ويأتى الفصل الثانى ليعالج تفصيلا سيرة العلم المترجم له وأبرز المحطات التى ألمت به، والتفاصيل المهمة

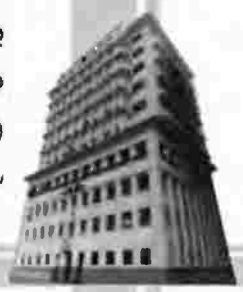

فى حياته، والروافد الفكرية والثقافية التى استقى منها معارفه وشكلت شخصيته ولعبت أثرها فى نتاجه الفكرى والأدبي. وأخيرا يأتى الفصل الثالث ليقدم دراسة مكثفة وعميقة، وموجزة فى الآن ذاته، لأهم إسهامات تلك الشخصية فى مجالها المعرفى أو الحقل الذى برزت فيه وتميزت من خلاله.

بينما القسم الثانى، الذى يحتل تقريبا نصف الكتاب، فمخصص بكاملة لمنتخبات ومختارات من أعمال الشخصية المترجم لها، فإذا كان فيلسوفا أورد مؤلف الكتاب قطعا مختارة من نصوصه ومؤلفاته ليكشف عن لغته وأسلوبه وطبيعة أفكاره والقضايا الأساسية التى شكلت فلسفته ومجمل آرائه. وإذا كان شاعرا، أورد مؤلف الكتاب نماذج من شعره تعرض للأغراض التى تناولها وعالجها وتكشف فى الوقت ذاته عن خصائص أسلوبه الشعرى وجمالياته بشكل عام. وإذا كان مؤرخا تكون المنتخبات فى هذه الحال صورة من كتابته التاريخية ومنهجه ورؤيته للأحداث التى عالجها فى كتبه وأعماله.. إلخ.

ورغم كثافة المادة وعمقها وما تقدمه من معلومات مهمة وغزيرة عن الشخصية التى تتناولها السلسلة، جاءت فى عدد محدود من الصفحات لا يتجاوز مائة وعشرين صفحة، قد تقل فى بعض الأحيان، وقد تزيد بصفحات قليلة، لكنها لا تخرج عن متوسط عدد الصفحات المشار إليه، بحيث يكون الكتاب فى النهاية عبارة عن «رسالة مكثفة» ودسمة وفى حيز محدود من الصفحات عن هذه الشخصية أو تلك، تقدم معرفة وافرة للقارئ العام أو المبتدئ تكفيه وتغنيه عن البحث فى شتات الكتب والمصادر، وفى الوقت ذاته تكون مفتاحا ومدخلا ممتازا للقارئ المتخصص والباحث عن المزيد فى هذا الموضوع لينطلق منه إلى كتب أكبر وأوسع.

وتميز الشكل الطباعى والإخراجى لكتب سلسلة «نوابغ الفكر العربى» من الكتاب الأول وحتى الكتاب الأخير، فجاء

القطع مميزا بين القطع الكبير والقطع الصغير (مقاس ٢٢ سم طولا فى ١٤ سم عرضًا) وهو ما يماثل حاليا قطع الروايات فى وقتنا الراهن، وجاء تصميم الغلاف بسيطا غاية البساطة بلون واحد يتوسطه مستطيل أبيض أنيق يحتوى على اسم الشخصية المترجم لها مرسوما بخط الرقعة، وتحته بخط النسخ اسم مؤلف الكتاب مسبوقا بكلمة «بقلم».

صدر من سلسلة «نوابغ الفكر العربى» واحد وأربعون كتابا، غطت شخصيات وأعلام نبغت فى تاريخنا العربي، قديما وحديثا، فى الأدب والشعر والتاريخ والفلسفة والفكر الحديث والصحافة.. إلخ، وكان الكتاب الأول الذى صدر فى السلسلة للعملاق عباس محمود العقاد عن «ابن رشد»، وهو كتاب فريد ورائع عن أشهر فلاسفة المسلمين فى العصور الوسطى، وأبعدهم تأثيرا فى الفكر الغربى الحديث، فهو الشارح الأعظم لكتب أرسطو طاليس، وأكبر الفلاسفة الشراح أثرا فى الغرب خلال الفترة الزمنية الممتدة من القرن الثالث عشر إلى القرن العشرين.

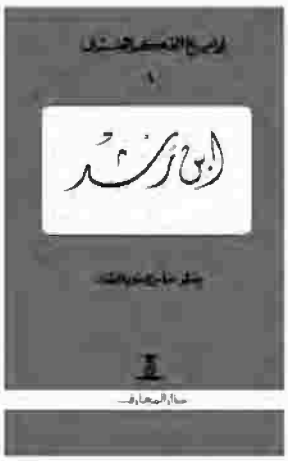

وكما شأن كل إصدارات دار المعارف فى تلك الفترة الزاهرة، استقبلت كتب السلسلة استقبالا جميلا وحافلا وأقبل عليها القراء من جميع أنحاء الوطن العربي، وتعددت طبعات أغلب كتبها لتجاوز العشر فى غير قليل من العناوين، ولقيمة كتب السلسلة وبراعة مؤلفيها وحسن صنيعهم لا تكاد تخلو مؤسسة أكاديمية أو مكتبة جامعية أو مكتبة علمية فى التخصصات الإنسانية من أعدادها جميعا أو على الأقل معظمها، وبالأخص

منهـا تلك التى تناولت أعـلام ذى خصوصية فى التراث العربى مثل «ابن المقفع»، «الجاحظ»، «التوحيدي»، «المتنبي»، «ابن زيدون»..

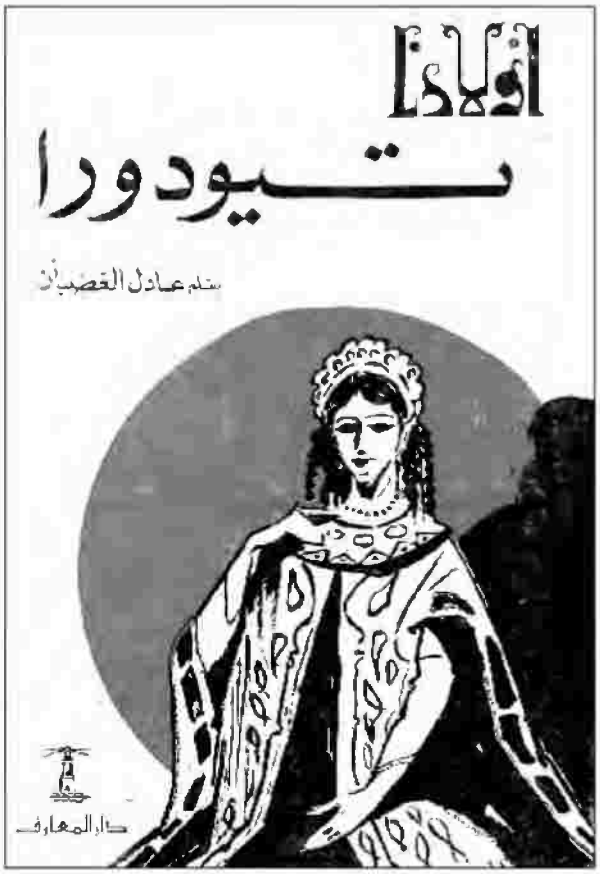

كانت سياسة القائمين على السلسلة (عادل الغضبان كان فـى الحقيقة هو المشـرف العـام على كل سلاسـل دار المعارف فى ذلـك الوقت)، تقوم على اختيار مؤلفى هذه الكتب بعناية فائقة، ووفـق المخطط الذى أوضحناه، وغالبا ما كانت الدار تقوم بإسـناد الكتابـة عن شـخصية معينة مـن «نوابـغ الفكـر العربى» إلى مؤلف معاصر بذاته عرف عنه التخصص أو الاشـتغال فى مشروعه

العلمى على تلك الشخصية. أغلب كتب السلسلة اضطلع بها أكاديميون متخصصون نابغون أيضا، التزموا بالشروط العامة لها، وقدموا كتبهم عن نوابغ الفكر العربى وفق هذا الشرط لا يغادرونه ولا يحيدون عنه، ومنهم من عكف خصيصا للكتابة عن شخصية أو علم بعد تكليف دار المعارف لهم بالكتابة عنها.

ونستطيع القول بأن مجموعة «نوابغ الفكر العربى» قد شكلت فى مُجملها مكتبة كاملة ومتكاملة فى السير والتراجم، ووفرت لمطالعها معرفة واسعة وعميقة ودسمة عن أى شخصية من الشخصيات التى تناولتها، وكذلك مثلت واحدة من أهم المصادر لكل طلاب القراءة فى التراجم والسير على العموم، وتاريخ الفكر والثقافة العربية بصفة خاصة.

إجمالا يمكن تقسيم الشخصيات التى تناولتها «نوابغ الفكر العربى» إلى عدة مجموعات صغيرة، تشتمل تحتها على عدد من الأعلام جمع بينهم تخصص واحد أو فن واحد، ففى مجال الأدب والكتابة والشعر، سيجد قارئ السلسلة كتبا عن «الجاحظ»، و«بشار بن برد»، و«بديع الزمان الهمذانى»، و«أبو الفرج الأصفهانى»، و«ابن الرومى»، و«المتنبى»، والبحترى»، والفرزدق»، و«جرير»، و«أبى حيان التوحيدى».. وغيرهم من أعلام الأدب العربي، شعرا ونثرا، فى عصوره الأولى.

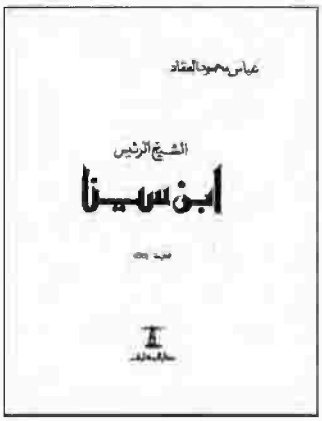

وسيجد كتبا عن «ابن رشد»، و«الفارابى»، و«ابن سينا»، و«إخوان الصفا» من الفلاسفة المسلمين، ومن المؤرخين: «المسعودى» مثلا صاحب كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، ومن اللغويين والبلاغيين: «ضياء الدين ابن الأثير»، و«ابن رشيق

القيراونى»، و«القاضى الجرجانى»، و«تقى الدين ابن حجة الحموى»، و«صفى الدين الحلى»، وآخرين.

وكذلك سيجد قارئ السلسلة كتبا عن عدد غير قليل من أبرز وأشهر أعلام النهضة الأدبية الحديثة فى مطالع القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين؛ مثل: «محمود سامى البارودى»، «الشيخ ناصيف اليازجى»، «الشيخ إبراهيم اليازجى»، «عبد الرحمن الكواكبى»، «رفاعة رافع الطهطاوى»، «خليل مطران»، «ولى الدين يكن»، «جمال الدين الأفغانى»، «قاسم أمين»، «يعقوب صروف»، «أمين الريحانى»، و«حسن العطار».

رفاعة رافع الطهطاوى

من أهم ما صدر من عناوين فى مجموعة «نوابغ الفكر العربى».. الكتاب رقم عن «رفاعة رافع الطهطاوى» (١٨٠١م-١٨٧٣م) للمؤرخ القدير جمال الدين الشيال، وهو من أسبق الكتب التى عرضت لسيرة وحياة الطهطاوى ومنجزه الفكرى والنهضوي، بمنهج معاصر ولغة معاصرة، وكذلك أصبح هذا الكتاب منذ صدوره من أهم المراجع وأجلها عن حياة الرائد التنويرى الأول فى العصر الحديث.

محمود سامى البارودى

أما الكتاب الرابع فى السلسلة، فكان عن «محمود سامى البارودى» الذى ألفه الدكتور عمر الدسوقى، وهو من رواد الدراسة الأدبية فى تاريخنا الحديث، وجاء الكتاب ليقدم دراسة وافية وشاملة عن رائد الشعر العربى الحديث، ورائد مدرسة الإحياء والبعث، أول مدرسة شعرية فى أدبنا المعاصر.

وكذلك من أهم ما صدر عن مجموعة «نوابغ الفكر العربى» أيضا، الكتاب رقم (٤٠)، عن العلامة الأزهرى، «الشيخ حسن العطار»، والذى كتبه محمد عبد الغنى حسن، وهو تقريبا الكتاب الوحيد الذى خصص بكامله عن هذا الشيخ المستنير رغم خطورة الدور الذى لعبه فى مستهل النهضة الأدبية الحديثة، وقدم الكتاب صورة كاشفة ومضيئة عن حياة الشيخ الأزهرى وأدواره وآثاره العلمية وأفكاره الإصلاحية ورؤاه التى كانت بلا شك البذرة التى أثمرت فى ما بعد إصلاحيين أزهريين كبار مثل الإمام محمد عبده ومن تخرج فى مدرسته الفكرية.

(٤) مجموعة «نوابغ الفكر الغربى»

وهذه السلسلة هى التوأم لمجموعة «نوابغ الفكر العربى»، أرادت بها دار المعارف أن تخرج للقارئ العربى وللمكتبة العربية مجموعة أخرى تقوم على نفس الأسس المنهجية والإطار العام والتخطيط الشامل الذى وضعته لإخراج مجموعة «نوابغ الفكر العربى»، لكنها فى هذه المرة عن «نوابغ الفكر الغربى» من الفلاسفة والمفكرين والأعلام الذين لعبوا أدوارا باهرة فى مسيرة الحضارة الغربية، واستكتبت لها خيرة المؤلفين والكتّاب من أساتذة الفلسفة فى الجامعات المصرية؛ مثل: زكى نجيب محمود، فؤاد زكريا، أحمد فؤاد الأهوانى، نجيب بلدى، وعزمى إسلام.. وآخرين.

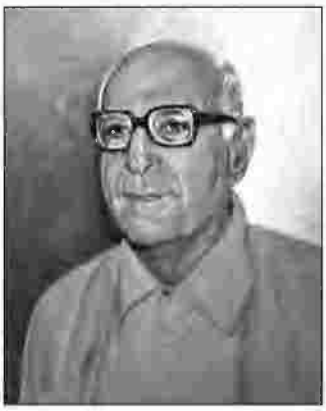
زكى نجيب محمود

وكتب محرر دار المعارف «عادل الغضبان» عن هذه السلسلة يعرف بها ويقدمها إلى القارئ العربى، يقول «مهرت دار المعارف المكتبة العربية بهذه المجموعة النفيسة،

وتوخت فيها ألمع ما بزغ فى سماء الغرب من عقول جبارة نابغة؛ لإيمانها بأن مقومات الفكر فى الشرق العربى، وإن توفرت لخلق العالم والأديب، إلا أنها لا تؤتى أطيب ثمارها وأعظم أكلها إلا إذا امتزجت فيها مقومات الفكر الغربى، وهذا ما تتوخاه هذه المجموعة من نوابغ الفكر الغربى».

وكل كتاب من كتب هذه المجموعة «يمتاز بترجمة وافية لحياة العبقرى الذى أفرد له ذلك الكتاب، وبدراسة مفصلة عن أدبه وعلمه ومذهبه الفكرى، كما يمتاز بصفوة مختارة من آثاره الموضحة لمنهج البحث منقولة إلى اللغة العربية ومنشورة إلى جانب الأصل الأفرنجى المنقولة عنه. إنها معرض فكرى حافل سوف يلتقى القراء فيه بجابرة الفكر من رجال الغرب قديمهم وحديثهم؛ أولئك الذين كانوا للعالم مصابيح هدى فأناروا له سبيل العلم والمعرفة».

وبذات القطع الذى صدرت عليه مجموعة نوابغ الفكر الغربى، (مقاس ٢٢ سم طولا فى ١٤,٥ سم عرضا)، جاءت كتب نوابغ الفكر الغربى، ويتراوح متوسط صفحات الكتاب بين ١٥٠ صفحة و٢٥٠ صفحة، قد تقل فى بعض الكتب، وتزيد فى بعضها الآخر، لكن غالبها كان يقع بين الـ ٢٠٠ و ٢٢٠ صفحة.

وعلى النهج ذاته أيضا، جاء التخطيط العام للسلسلة؛ فكل شخصية نابغة فى الفلسفة أو الاجتماع أو التاريخ أو القانون من نوابغ الفكر الغربى التى تتناولها يتم معالجتها بالتمهيد لدراسة عصرها؛ سياسيا واجتماعيا وعقليا، ثم عرض وافٍ لمعالم حياة الشخصية وأبرز ملامحها، ثم عرض لمؤلفاتها وأعمالها وما يتصل بها من أفكارها ونظرياتها أو مذهبها الفلسفى على الجملة، وهذا كله يستغرق نصف الكتاب أو ما يزيد قليلا على النصف. ويأتى النصف الآخر أو القسم الثانى من الكتاب مخصصا بكامله لنصوص مختارة أو منتخبات من أعمال الشخصية وآثارها الكبرى.

على أن كتب هذه السلسلة تتعدى فكرة كونها تعريفا بأعلام الفكر العالمى، رواده فى العصور القديمة والوسطى ومحدثيه، فهى دراسات رصينة، جادة ومعمقة، بل ناقدة أيضا لحياة وأعمال هؤلاء الأعلام من الفلاسفة والمفكرين الغربيين.

ظهر الكتاب الأول فى السلسلة عن «نيتشه» بقلم الدكتور فؤاد زكريا فى العام ١٩٥٦م، وكان كتابا باذخا عظيم الفائدة واسع المعرفة، قدم وجبة رائعة ودسمة عن فيلسوف أوربا المنعزل، ورسم صورة واضحة المعالم محددة الأركان لعصره وثقافته والأسس التى شكلت فلسفته وآراءه. كان هذا الكتاب أشبه برسالة ماجستير حقيقية عكف على تأليفها واحد من أعظم وأكبر أساتذة الفلسفة فى القرن العشرين.

أما الكتاب الثانى فكان عن «برتراند رسل» بقلم الدكتور زكى نجيب محمود، وصدر فى العام نفسه، وربما يكون هذا الكتاب الذى يقع فى ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط، من أهم الكتب بالعربية التى تعرضت لواحد من أهم وأشهر فلاسفة القرن العشرين، يقول زكى نجيب محمود فى مقدمته للكتاب «حين كتبت هذا الكتاب، حاولت أن أهتم بالمهم من فلسفته، بغض النظر عن مدى ذيوعه بين أوساط القراء، وجعلت تتابع الفصول متمشيا، إلى حد كبير، مع التطور الفكرى للفيلسوف، كما يظهر هذا التطور فى رواية الفيلسوف عن نفسه هى التى تراها فى الفصل الأول من الكتاب».

وكتب أستاذ الفلسفة القدير الدكتور زكريا إبراهيم عن «برجسون»، وهو الكتاب الثالث فى السلسلة، يعرض فيه لفكر

برجسون ومذهبه الفلسفى فى واحد من أعمق وأبسط الكتب عن الفيلسوف الفرنسى الشهير، وفى أسلوب واضح جلى يدل على إحاطة مؤلفه وفهمه الكامل لصحيح مذهب الفيلسوف وأفكاره.

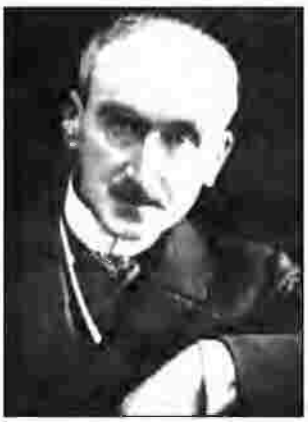
برجسون

وكتاب «أفلاطون» للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى، وهو الكتاب الخامس فى السلسلة، يكاد يكون أهم كتاب صدر فى مجموعة نوابغ الفكر الغربى، لأهمية وذيوع صيت الشخصية التى يتناولها، فضلا عن علو باع المؤلف المعروف بدراساته العميقة والفذة فى فروع الدراسة الفلسفية عموما. وأحمد فؤاد الأهوانى (١٩٠٨م - ١٩٧٠م) أحد أهم أساتذة الفلسفة وعلم النفس والفكر الإسلامى فى جامعة القاهرة، وقدم للمكتبة العربية والدراسات الفلسفية العديد من الكتب والمؤلفات والمترجمات فى الفلسفة وتفرعاتها المتشابكة ما بين تأليف وتحقيق وترجمة، وكذلك فى القضايا الفكرية العامة. يعالج الكتاب تفصيلا السيرة الذاتية لأفلاطون من حيث حياته ومؤلفاته ومذهبه فى الفن والرياضة والهندسة والفلسفة والنفس والمدينة الفاضلة وغير ذلك، ثم يورد منتخبات من آثاره ونصوصا مختارة من أعماله مقرونة بأصلها الفرنسى أو اللاتينى بعد مراجعتها على الأصل اليونانى.

ويأتى كتاب «جون لوك» للدكتور عزمى إسلام، وهو الكتاب رقم (١٦) فى السلسلة، ليستعرض مكانة الفيلسوف والمفكر السياسى جون لوك فى التاريخ الإنسانى، ويؤكد على إسهاماته وأهميته فى حركة التنوير الكبرى التى سادت أوربا فى القرن الثامن عشر والتى لم تكن سوى امتداد طبيعى لفلسفة جون لوك، تلك الفلسفة التى قامت على احترام القيم الإنسانية

والحرية الفردية سواء فى الدين أو الفكر أو السياسة، وتنادى بتحرير الفرد.

وتتابعت كتب مجموعة نوابغ الفكر الغربى، لتصل إلى واحد وعشرين كتابًا تتحدث عن واحد وعشرين نابغة غربيا بأهم الأقلام الفلسفية فى مصر والعالم العربى، وبعضها طبع أكثر من طبعة، وما زال الطلب عليها كبيرا ومتزايدا برغم مرور ما يقرب من ستة عقود على صدور الكتاب الأول.

ظهر من سلسلة «نوابغ الفكر الغربى» على الترتيب:

«نيتشه» لفؤاد زكريا، «برتراند رسل» لزكى نجيب محمود، «برجسون» لزكريا إبراهيم، «بسكال» لنجيب بلدى، «أفلاطون» لأحمد فؤاد الأهوانى، «جون ستوارت مل» لتوفيق الطويل، «ديفيد هيوم» لزكى نجيب محمود، «شيلر» لعثمان أمين، «تايلور» لأحمد أبو زيد، «وليم جيمس» لمحمود زيدان، «جون ديوى» لأحمد فؤاد الأهوانى، «ديكارت» لنجيب بلدى، «باركلي» ليحيى هويدى، «سان سيمون» لطلعت عيسى، «كولردج» لمحمد مصطفى بدوى، «جون لوك» لعزمى إسلام، «ت. إس. إليوت» لفايق متى، «كوندرسيه» لعاطف وصفى، «لدفيج فتجنشتين» لعزمى إسلام، «هيجل» لعبد الفتاح الديدى، وأخيرا «هولدرلين» لعبد الغفار مكاوى..

(٥) مكتبة الدراسات الأدبية

يلفت انتباه المؤرخ والباحث الثقافى المعنى بدراسة حقبة الخمسينيات والستينيات، على وجه الخصوص، أنها كانت فترة عامرة ومزدهرة بالأكاديميين المتخصصين الذين تتلمذوا على جيل الأساتذة من رواد النهضة الحديثة، بدأت البذور التى ألقاها

طه حسين وأحمد لطفى السيد ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين وأمين الخولى، ونظرائهم فى كل مجالات البحث والعلوم الإنسانية والاجتماعية، تؤتى أكلها وتثمر ثمارها، وكانت الجامعة المصرية هى مركز هذه الحركة ومولدها فى الوقت ذاته. شهدت هذه الفترة إجازة عشرات الرسائل من الماجستير والدكتوراه أنجزها أعلام أفذاذ سيصيرون أساتذة عظاما وعلماء أجلاء، وكان لا بد أن ينشروا هذه البحوث ويذيعوها على الناس، أولا لطلاب المعرفة والثقافة بصورة عامة، وثانيا للطلاب والدارسين فى الجامعات والأقسام العلمية المختلفة (الآداب، اللغات، الفلسفة، الاجتماع، التاريخ.. إلخ).

ولم يكن لدار المعارف، وهى الدار الأكبر والأشهر فى العالم العربى آنذاك، أن تغفل عن ملء الفراغ فى هذا الجانب وأن يكون لها قصب السبق ولواء الريادة فى نشر الكتاب الثقافى والأكاديمى المتخصص، وأن تفكر فى إصدار عدد من السلاسل العلمية المتخصصة لتخدم بها طائفة عريضة وشريحة واسعة من قرائها وتوفر لهم وبين أيديهم خلاصة وعصارة ما أنتجته قرائح أساتذتهم العظماء.

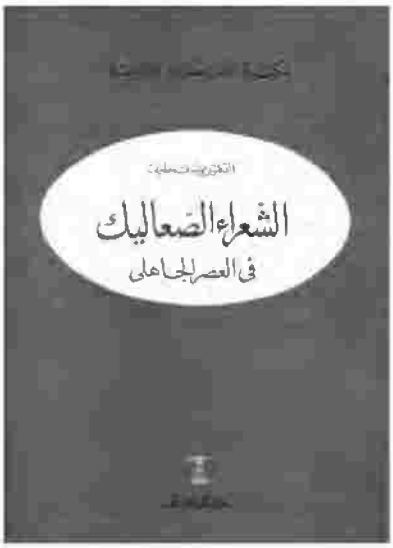

وفى ظنى أن مقترح إنشاء هذه السلسلة تحديدا «مكتبة الدراسات الأدبية»، كان بواعز من العميد طه حسين الذى كان يعد بمثابة المستشار الثقافى لدار المعارف، وأظن أنه عرض فكرته على صديقه شفيق نجيب

مترى صاحب دار المعارف، الذى تحمس بدوره للفكرة، وأسند إلى المحرر العام للدار والمشرف على مطبوعاتها، عادل الغضبان، تنفيذها فورا.

ومن المؤكد أن مهندس وصاحب فكرة إخراج هذه السلسلة بشكل دورى وفق معايير محددة وصارمة، هو عادل الغضبان، وذلك ضمن عدد من السلاسل الأخرى التى تبتغى تحقيق هدفين معا:

الأول أن تضيف هذه الكتب مادة معرفية وثقافية فى إطار النشر العام وتفيد جمهرة المثقفين والقراء كل حسب طلبه واهتمامه، والثانى أن تتوجه أيضا للطلاب الجامعيين الذين يدرسون موضوعات فى تخصصاتهم الدقيقة وتتصل مباشرة بموضوعات هذه الكتب. ومن هنا حققت السلسلة الهدفين بحجر واحد أن تكون كتبا ثقافية بالمعنى العام والشامل، ولا يستغنى عنها مثقف أو قارئ عام مطلع، وأن تكون أكاديمية تخدم الطلاب والدارسين، وتوفر لهم مادة يستعينون بها على إكمال مقرراتهم الدراسية إن لم تكن هى بحد ذاتها تمثل ذلك.

هكذا، ظهرت إلى الوجود سلسلة «مكتبة الدراسات الأدبية»، وتكون باكورة لعدد من السلاسل العلمية المتخصصة التى أصدرتها دار المعارف فى منتصف الخمسينيات من القرن الماضى (صدر على غرارها مكتبة «الدراسات الفلسفية»، «مكتبة علم النفس»، «مكتبة الدراسات التاريخية»، «المكتبة الجغرافية».. إلخ) لتستوعب الدراسات الأدبية والنقدية المتخصصة والمتعمقة، والتى كان

أغلبها أطروحات علمية تقدم بها أصحابها إلى نيل درجتى الماجستير والدكتوراه فى تخصصات الآداب والنقد وتاريخ الأدب العربى.

ولم يكن هؤلاء المؤلفون، من أساتذة الأدب والمتخصصين فى مصر فقط، بل كانوا أيضا وبنسبة لافتة من الدول العربية الأخرى؛ من العراق وسوريا وفلسطين والأردن والسودان وتونس والجزائر والمغرب. ومن يحصى كتب «مكتبة الدراسات الأدبية» سيجد فيها كتبا لكل من سامى الدهان وسامى الكيالى وجودت الركابى من سوريا، وناصر الدين الأسد من الأردن، وكامل السوافيرى من فلسطين، ويوسف عز الدين من العراق، والنشاشيبى من العراق أيضا، وزكى المحاسنى من سوريا، وأبو القاسم عبد الله من الجزائر، ويوسف حسين بكار من تونس.. وغيرهم.

واتخذ شكل الكتب التى صدرت فى «مكتبة الدراسات الأدبية» شكلا إخراجيا موحدا، بتصميم غلاف ثابت (لون واحد يتوسطه العنوان واسم المؤلف فى شكل بيضاوى يتخلل مساحة اللون الثابت للغلاف)، وكان القطع كبيرا، وتتراوح عدد الصفحات ما بين ٢٥٠ صفحة و٣٥٠ صفحة، وقد تزيد فى بعض الكتب إلى ما يزيد على الخمسمائة صفحة.

ظهر الكتاب الأول فى «مكتبة الدراسات الأدبية» فى العام ١٩٥٦م، وهو كتاب المرحوم الدكتور ناصر الدين الأسد «مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية». وهذا الكتاب المرجعى الذى استهلت به «مكتبة الدارسات الأدبية» إصداراتها، كان فى الأصل أطروحة الدكتوراه التى تقدم بها ناصر الدين الأسد إلى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة القاهرة

الدكتور شوقى ضيف

لنيل درجة الدكتوراه عام ١٩٥٥م تحت إشراف الدكتور شوقى ضيف، وبتشجيع ودعم من الدكتور طه حسين.

ثم صدر الكتاب الثانى بعنوان «شعراء الرابطة القلمية» للدكتورة نادرة جميل السراج، وهو عبارة عن دراسات فى شعر المهجر عامة وفى شعر شعراء الرابطة القلمية خاصة، وفيه صفحات مشرقة من شعراء إخوان لهم سطع فنهم العربى فى سماء الأندلس الجديدة.

أحمد شوقى

وجاء الكتاب الثالث بتوقيع الدكتور شوقى ضيف عن «شوقى شاعر العصر الحديث»، وهو من أشهر كتب السلسلة وأذيعها وأكثرها طباعة وتداولا منذ صدور طبعته الأولى حتى وقتنا هذا. وفى هذا الكتاب، الذى يعد بحق من أوفى الدراسات وأشملها عن شاعر العربية الأشهر والأكبر فى العصر الحديث، يصور حياة أمير الشعراء أحمد شوقى من جميع النواحى، ويبحث عن مكونات الصناعة الشعرية وروافدها، و يحدد موقف الشاعر بين التيار القديم والتيار الجديد و يحسم الجدل الدائر فى هذه المسألة و يختم دراسته بموقف النقاد المحدثين من شعر شوقى واختلافهم حوله، وكذلك موقف الشاعر نفسه من النقد والنقاد.

ويصدر الكتاب الرابع فى السلسلة لشوقى ضيف أيضًا، بعنوان «الأدب العربى المعاصر فى مصر»، ليقدم مدخلا ممتازا ووافيا بتاريخ مائة عام كاملة من أدبنا المعاصر، نثرا وشعرا، ويترجم فيه لأهم وأبرز أعلام الحركة الأدبية خلال الفترة من ١٨٥٠م وحتى ١٩٥٠م.

وتتوالى أعداد «مكتبة الدراسات الأدبية»، ويصدر من هذه

السلسلة حوالى ١٠٠ كتاب (لحين توقفت فى أواخر الثمانينيات أو أول التسعينيات من القرن الماضى)، مثلت معنى المكتبة الحقيقية، الوافرة، العميقة، كتبها خيرة الأساتذة والنقاد والمتخصصون فى الأدب والنقد وتاريخ الأدب، واستوعبت بحوثا ودراسات أصبحت، وما زالت، منذ نشرها فى كتاب على الناس، من أهم الكتب فى موضوعاتها، بمعنى أن من عكف على قراءة هذه الكتب وفى إطارها المحدد لها، يكون قد ألم تماما بأهم وأبرز ملامح الحياة الأدبية فى العالم العربى وما يتصل بها من دراسة أو نقد، قديما أو حديثا، إلماما تاما ووافيا ومحيطا.

أقبل القراء على إصدارات «مكتبة الدراسات الأدبية» إقبالا كبيرا ورائعا، ووضح أن السلسلة تغطى مساحة عريضة لا يستهان بها، ولهذا تجاوز الأثر الذى أحدثته السلسلة فى أهميتها وقيمة ما تطبعه وتنشره من بحوث النطاق المصرى وامتد أثره إلى العالم العربى كله من المحيط إلى الخليج. وصدرت عشرات الطبعات من كتب «مكتبة الدراسات الأدبية» لتغطى الطلب المتزايد عليها فى مصر وخارجها، وأصبحت كتبها الرصينة أيقونة معروفة وراسخة لكل طلاب الدراسات الأدبية فى كليات الآداب بأقسامها الأدبية واللغوية، وكليات الدراسات العربية، وكلية دار العلوم، وما يشابه هذه الكليات من مؤسسات ومعاهد معنية بدراسة الأدب واللغة العربية والنقد وتاريخ الأدب.

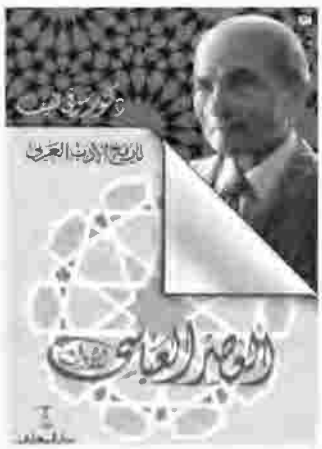

كتب لها تاريخ

فى مكتبة الدراسات الأدبية نشر المرحوم الدكتور شوقى ضيف أبرز وأهم كتبه ودراساته الأدبية التى تكمل بصورة أو أخرى موسوعته الضخمة «تاريخ الأدب العربى» التى صدرت فى عشرة أجزاء عن دار المعارف أيضا (راجع فصل نجوم تألقت فى دار المعارف)،

ومن هذه الكتب:

«التطور والتجديد فى الشعر الأموى»، «دراسات فى الشعر العربى المعاصر»، «الفن ومذاهبه فى الشعر العربى»، «الفن ومذاهبه فى النثر العربى»، «الشعر وطوابعه الشعبية عبر العصور»، «البارودى رائد الشعر الحديث»، «الشعر والغناء فى مكة والمدينة فى العصر الأموى»، و«فى التراث والشعر واللغة»، وهو الكتاب الأخير الذى صدر فى السلسلة تحت رقم (١٠٠)، وغيرها من الكتب المهمة التى لا غنى عنها لكل طالب جاد أو باحث مدقق أو قارئ عام يبحث عن لذة الثقافة والمعرفة لذاتها.

ومما أصدرته «مكتبة الدراسات الأدبية» أيضا من الكتب المهمة والقيمة لأعلام الأدب والنقد فى مصر والعالم العربى، وتركت بصمات عميقة فى تطور الدراسة الأدبية أو رادت الطريق أمام الباحثين فى فروع مختلفة، نذكر العناوين التالية:

الكتاب رقم (٦).. «ألف ليلة وليلة ـ دراسة وتحليل» للمرحومة الأستاذة الجليلة الدكتورة سهير القلماوى، من أهم الكتب ـ إن لم يكن أهمها ـ التى صدرت فى «مكتبة الدراسات الأدبية» خلال مشوارها الذى امتد لما يزيد على أربعة عقود متصلة، وهو فى الأصل رسالتها للدكتوراه التى تقدمت بها إلى قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٤٥م، تحت إشراف أستاذها ومعلمها الدكتور طه حسين.

وكان العميد شديد السعادة بهذه الدراسة وبصاحبتها، وقال فى تقديمه للكتاب فى طبعته الصادرة عن دار المعارف سنة ١٩٥٦م: "وكل ما أتمناه هو أن تكون هذه الخطوة هى الأولى لسهير فى درس الأدب الشعبى، وألا تكون خطوتها الأخيرة". وقد

نال هذا الكتاب العظيم شهرة واسعة فى الدراسات الأدبية بعامة والشعبية بخاصة، وتعددت طبعاته التى تجاوزت العشر طبعات (على أقل تقدير)، واحتلت صاحبته مكانة رفيعة وسامقة فى مضمار البحث الأدبى بسبب هذا الكتاب الذى ارتادت به أرضا بكرا لم يسبقها إليه سابق؛ إذ إنها بهذه الدراسة كانت رائدة دراسات ألف ليلة وليلة، وفتحت الباب أمام شباب الباحثين والدارسين لاقتحام مجال الدراسات الشعبية دون وجل أو خوف.

الكتاب رقم (٨).. «الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى» للدكتور يوسف خليف، وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٩م، وهو فى الأصل أطروحة الماجستير التى تقدم بها يوسف خليف لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة القاهرة، قسم اللغة العربية وآدابها، تحت إشراف المرحوم أحمد أمين، كانت دراسة أصيلة وفريدة فى بابها؛ إذ كانت الدراسة الأولى عن هؤلاء الشعراء الذين عاشوا رمال البادية وفى أعماقها الغامضة الرهيبة، وكانوا عصابات من خُلعاء القبائل وشُذّاذها، وأغربتها السود، وفقرائها المهمشين المتمردين، يجمع بينهم الفقر والتشرد والتمرد على النظام القبلى، وجسد شعرهم صيحة احتجاج واعتراض قوية ضد هذا النظام، كما صور فلسفتهم الاجتماعية والاقتصادية وحياتهم التى انبنت على قيم البطولة والنبالة والمغامرة.

وكتاب «ذو الرمة شاعر الحب والصحراء»، له أيضا، يتناول هذا الكتاب دراسة أدبية تحليلية ونقدية فى شعر أحد أهم شعراء العصر الأموى وهو ذو الرمة من خلال دراسة لحياة الشاعر من حيث نشأته وشبابه وقصص حبه، وأبرز المراحل المميزة لتجربته الحياتية، مع الوقوف على قراءة أدبية فى شعر الحب وشعر الصحراء لدى ذو الرمة، مختتما بدارسة فنية حول سمات وخصائص تجربته الشعرية، موضحا مكانته من تاريخ الشعر العربى.

ثم تتابعت كتب «مكتبة الدراسات الأدبية» حتى وصلت للكتاب رقم (١٠٠)، ومن أبرز هذه العناوين:

«منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن» لمصطفى الصاوى الجوينى، «شوقى وشعره الإسلامى» لماهر حسن فهمى، «حافظ إبراهيم شاعر النيل» للدكتور عبد الحميد سند الجندى، «الأدب العربى المعاصر فى سورية (١٨٥٠-١٩٥٠)» لسامى الكيالى، «شكيب أرسلان حياته وآثاره» لسامى الدهان، «فى الأدب الأندلسى» لجودت الركابى، «شعر الحرب فى أدب العرب» للدكتور زكى المحاسنى، «رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى دراسة نقدية» للدكتورة بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن، و«التفسير البيانى للقرآن الكريم» لها أيضا، «النيل فى الأدب المصرى» للدكتورة نعمات أحمد فؤاد، «الجاحظ - حياته وآثاره» لطه الحاجرى، «اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى» لمحمد مصطفى هدارة، «تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر (١٨٧٠-١٩٣٨)» للدكتور عبد المحسن طه بدر، «القصة فى الأدب الفارسى» للدكتور أمين عبد المجيد بدوى، «القيان والغناء فى الشعر الجاهلى» لناصر الدين الأسد، و«العرب قبل الإسلام» لخليل يحيى نامى.. وغيرها من الكتب والدراسات التى نفد معظمها، ولم يُعد طبعها منذ زمن بعيد.

(٦) مكتبة الدراسات الفلسفية

من أعظم ما أخرجته دار المعارف فى خمسينيات القرن الماضى سلسلة ليس لها نظير فى المكتبة العربية، أسمتها «مكتبة الدراسات الفلسفية»، وهى بحق "مكتبة" عامرة بكل أصيل وقيم فى مجال الدراسات الفلسفية، وما يتصل بها من قضايا

وموضوعات ومذاهب فلسفية، اضطلع بكتابتها أو ترجمة نصوصها أعظم أساتذة الفلسفة فى مصر بلا شك، وكانت هذه الفترة تشهد ازدهارا فى مجال الدراسات الأكاديمية، و يحظى الدرس الفلسفى بنخبة من ألمع الأسماء؛ مثل: يوسف كرم، نجيب بلدى، محمد يوسف موسى، سليمان دنيا، أحمد محمود صبحى، على سامى النشار، إمام عبد الفتاح إمام، إبراهيم بيومى مدكور، فؤاد كامل، عاطف العراقى، وآخرين.

من منتصف الخمسينيات وحتى منتصف الثمانينيات (على أقصى تقدير) صدر من هذه السلسلة قرابة الأربعين عنوانا (قد تزيد قليلا أو تنقص فى ظل غياب معلومات ببليوجرافية دقيقة وموثقة)، صدر من بعض هذه العناوين ما يقرب من الطبعات العشر، وكانت أهم مراجع فى أبوابها تسعى المكتبات الأكاديمية والأقسام العلمية بالجامعات المصرية والعربية على التزود منها.

وإذا كان محبو وعشاق ودارسو تاريخ الأدب العربى يعتبرون موسوعة العظيم شوقى ضيف هى "أكمل" و "أعظم" ما كتب عن تاريخ الأدب العربى، ولا غنى عنها لأى طالب أو باحث، يحرص عليها وعلى اقتنائها، فإن «مكتبة الدراسات الفلسفية» تمثل هذه القيمة وهذه الأهمية والمرجعية فى آن لطلاب الدراسات الفلسفية والمعنيين بالدرس الفلسفى.

أما فكرة إخراج هذه السلسلة فكانت من أفكار عادل الغضبان، أيضا، ضمن عدد من السلاسل الأخرى التى تحقق هدفين معا: الأول أن تضيف هذه الكتب مادة معرفية وثقافية فى إطار النشر العام، وتفيد جمهرة المثقفين والقراء كل حسب طلبه واهتمامه، والثانى أن تتوجه أيضا للطلاب الجامعيين الذين يدرسون موضوعات فى تخصصاتهم الدقيقة وتتصل مباشرة بموضوعات هذه الكتب.

ومن هنا حققت السلسلة الهدفين بحجر واحد، أن تكون

كتبا ثقافية بالمعنى العام والشامل، ولا يستغنى عنها مثقف أو قارئ عام مطلع، وأن تكون أكاديمية تخدم الطلاب والدارسين، وتوفر لهم مادة يستعينون بها على إكمال مقرراتهم الدراسية إن لم تكن هى بحد ذاتها تمثل ذلك.

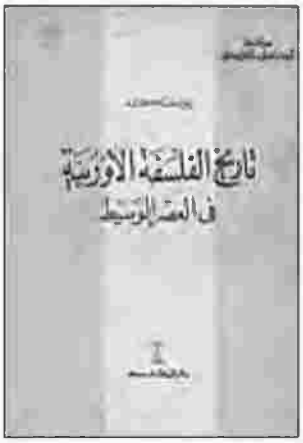

صدر الكتاب الأول من مكتبة الدراسات الفلسفية بعنوان «تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط» لمؤرخ الفلسفة القدير يوسف كرم، وهو من أعلام الثقافة المصرية الحديثة الذين لم يلقوا حظا كبيرا من الشهرة برغم قيمته الكبيرة وإنجازه الضخم فى مجال الدراسات الفلسفية.

وجاء كتابه هذا ليدرس الحركة الدينية والحركة الفكرية فى أوربا العصور الوسطى، والتى كان للدين والفلسفة أثر فيهما، إذ كانت الفلسفة اليونانية نواة الفلسفة الأوربية وتناولتها العقول الجديدة فى الشرق والغرب، فاصطنعت منها أشياء وأنكرت أشياء وضل بسببها عن العقائد الدينية لفيف كبير. هذه الحركة الكبيرة يعرضها المؤلف ويتتبع آثارها عند الأمم الغربية قوما ولسانا، ويبين آراء الأوربيين باللاتينية طوال العصر الوسيط. وفى الكتاب أيضا تراجم لجمهرة من فلاسفة العصر الوسيط تؤرخ لحياتهم وأعمالهم الفكرية وتسجل آراءهم ونظرياتهم الفلسفية فى وضوح امتاز به المؤلف ودل على تمكنه فى هذا العلم الذى لا يسلس قيادة إلا لفئة قليلة ممتازة.

أتاحت «مكتبة الدراسات الفلسفية» ليوسف كرم أن يخرج أعظم وأهم أعماله فى تاريخ الفلسفة وقضاياها، وكان كتابه الأول فى السلسلة حلقة من حلقات تأريخه الضخم لتاريخ الفلسفة

عبر العصور، وكان أصدر كتابه الضخم «تاريخ الفلسفة اليونانية» عن لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦م، ليمثل الحلقة الأولى من هذا المشروع الكبير. ثم جاء كتابه «تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط» ليكون الحلقة الثانية، وأتبعه بكتابه المرجعى «تاريخ الفلسفة الحديثة»، وهو الكتاب الثانى الذى صدر فى سلسلة «مكتبة الدراسات الفلسفية»، لتكتمل بذلك حلقات تاريخ الفلسفة عبر العصور. وهذا الكتاب الأخير، نال شهرة فائقة، وتعددت طبعاته، وأقبل عليه جمهور قراء الفلسفة ومحبيها إقبالا شغوفا.

البداية كانت مشجعة ومبشرة، خاصة بعد الاستقبال الحافل من القراء للكتابين الأولين، مما استدعى إعادة طبع الكتابين مرات ومرات، ثم صدر الكتاب الثالث ليوسف كرم أيضا بعنوان «العقل والوجود»، والكتاب الخامس له أيضا بعنوان «الطبيعة وما بعد الطبيعة»، وهذا الكتاب محاولة فلسفية لفهم طبيعة الحياة وطبيعة الإنسان والوصول إلى الله، وقد أراد المؤلف تحرير الفلسفة من هذا العقم فى عبارة محكمة دقيقة لا غموض فيها ولا التواء أو عسر.

هكذا استوعبت «مكتبة الدراسات الفلسفية» أعظم وأهم الأعمال التى كتبها مؤرخ الفلسفة القدير يوسف كرم، وباتت كتبه التى أصدرها فى هذا الإطار من أهم الأعمال التى يرجع إليها طلاب الفلسفة وروادها ولا يستغنون عنها، لا فى دراساتهم الأولية أو فى مراحل الدراسة العليا لمن أراد منهم استكمال الطريق.

استوعبت السلسلة أيضا نصوصا مهمة من عيون النصوص الفلسفية فى القرن العشرين، وكانت أن فاجأت الجميع بصدور الترجمة العربية من النص الفلسفى الكبير «أصول الرياضيات» فى أربعة أجزاء لبرتراند راسل، وقام بالترجمة محمد مرسى وأحمد فؤاد الأهوانى، وهذا الكتاب الكبير أحدث انقلابا فى مبادئ العلم الرياضى، وهو يتناول أفكارا أساسية فى العلم الرياضى مثل فكرة العدد اللا نهائية والاتصال وغير ذلك مما يعد أساسا لجميع العلوم الطبيعية والذرية فى العصر الحاضر، وأما مؤلفه فواحد من أشهر الفلاسفة والرياضيين فى القرن العشرين.

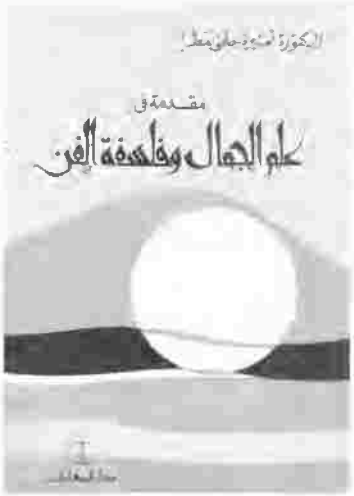

ومن النصوص الفلسفية التأسيسية التى صدرت عن مكتبة الدراسات الفلسفية «فايدروس أو عن الجمال» لأفلاطون، والذى ترجمته الدكتورة أميرة حلمى مطر، وهى المحاورة الخالدة بين سقراط وفايدروس حول مسائل الفن وفلسفة الجمال.

أيضا «مقدمة فى المنطق الرمزى» من تأليف أ. هـ. بيسون، و د. ح. أوكونر، ومن ترجمة د.عبد الفتاح الديدى، والمنطق الرمزى هو أسلوب فى التفكير الحديث السريع المباشر الذى يسعى للعثور على حلول عملية دقيقة منهجية فى كل الإشكالات التى تعترضه.

ونص كتاب «المنطق ـ نظرية البحث» لجون ديوى، وترجمة الدكتور زكى نجيب محمود، وهو من النصوص الفلسفية المعاصرة التى تعرض لوجهة نظر فى المنطق تلائم العلم المعاصر، يعبر بها عن رأى البراجماتيين الذين هم ألصق الجماعات الفلسفية

المعاصرة بتيار العلم، وقد أطلق صاحب الكتاب على منطقه الجديد اسم «نظرية البحث».

وفى مكتبة الدراسات الفلسفية صدرت الترجمة العربية من الكتاب المرجعى «تاريخ الفلسفة الروسية» من تأليف د. نيقولا لوسكى، ومن ترجمة فؤاد كامل، ومراجعة الدكتور زكى نجيب محمود، ويقع هذا الكتاب الكبير فى ٤٦٨ صفحة من القطع الكبير.

وتتابعت إصدارات مكتبة الدراسات الفلسفية ليصدر منها حوالى أربعين عنوانًا خلال ما يزيد على ثلاثة عقود، كان من أبرزها:

فى الفلسفة الإسلامية: «مناهج البحث عند مفكرى الإسلام»، لعلى سامى النشار، و«نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام» فى ثلاثة مجلدات له أيضا، و«فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه» (جزءان) لإبراهيم بيومى مدكور، و«بين الدين والفلسفة عند ابن رشد» لمحمد يوسف موسى، و«القرآن والفلسفة» له أيضًا. و«الإدراك الحسى عند ابن سينا» للدكتور محمد عثمان نجاتى، و«الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا» لعاطف العراقى، و«الحقيقة فى نظر الغزالى» لسليمان دنيا، و«الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى» لأحمد محمود صبحى، و«النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد» لعاطف العراقى، و«المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد» لمحمد عمارة، و«الشخصانية الإسلامية» لمحمد عزيز الحبابى..

وفى الفلسفة القديمة: «تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها» (١٩٦٢م) للدكتور نجيب بلدى، والكتاب الضخم «حكمة الصين ـ دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصينى منذ أقدم العصور» لمحمد فؤاد شبل فى مجلدين، وهو عرض ممتع وشائق ودراسة جادة وعميقة لتطور الفكر الصينى الذى يختلف اختلافا شديدا عن الأنماط الفكرية فى الشرق والغرب.

وفى الفلسفة الحديثة: «المذهب فى فلسفة برجسون» لمراد وهبة، و«سورين كيركجورد: أبو الوجودية» لفوزية ميخائيل، و«بين برجسون وسارتر ـ أزمة الحرية» لحبيب الشارونى، و«الفرد فى فلسفة شوبنهور» لفؤاد كامل، و«الغير فى فلسفة سارتر» له أيضا، و«ألبير كامى محاولة لدراسة فكره الفلسفى» لعبد الغفار مكاوى، و«المنهج الجدلى عند هيجل» لإمام عبد الفتاح إمام، و«مراحل الفكر الأخلاقى» لنجيب بلدى.. و«من الكائن إلى الشخص» للدكتور محمد عزيز الحبابى. و«فلسفة المصادفة» لمحمود أمين العالم.

(٧) مكتبة الدراسات التاريخية

«مكتبة الدراسات التاريخية» هى الشقيقة الثالثة للسلسلتين السابقتين، «مكتبة الدراسات الأدبية»، و«مكتبة الدراسات الفلسفية»، وتكتمل أضلاع مثلث العلوم الإنسانية التى سعت هذه المكتبات الثلاثة إلى تغطيتها بهذه السلسلة التى كانت شديدة التخصص، وذات طبيعة نوعية مميزة، ونشرت عددا من أندر وأهم

الدراسات التاريخية فى بابها، وإن كان عدد العناوين الذى نشر فيها أقل نسبيا من السلسلتين السابقتين.

بالمنهج نفسه الذى سارت عليه السلسلتان السابقتان، استوعبت «مكتبة الدراسات التاريخية» طائفة من الموضوعات المختارة بين التاريخ القديم والوسيط والحديث، فى مجالات وفروع عدة، ومن بينها المؤلف، وهو الأغلب، والمترجم الذى لم يتجاوز كتابا أو اثنين على الأكثر.

ويلفت النظر أن صدور هذه السلسلة تزامن مع ذروة المد الناصرى فى العالم العربى، والقومية العربية، مما انعكس على بعض الاختيارات والكتب التى نشرت فى إطارها، ومنها مثلا دراسة محمود كامل المحامى «الدولة العربية الكبرى»، وهى دراسة ضخمة جاءت تطبيقا مباشرا فى اتجاه التعريف بالتاريخ الواحد واللغة الواحدة وعناصر القومية المشتركة بين الشعوب العربية، ولهذا جاء على غلاف الكتاب الخلفى فى معرض التعريف به «وهذا أول كتاب يتحدث عن العرب وتاريخهم كأمة وجنس متميز لا كأفراد وجماعات، يستحق لما بذل فى تأليفه من جهد وما حوى من تحقيق دقيق للأحداث الماضية والأخيرة، أن يكون مرجعا تاريخيا مهما، وموسوعة يجدر بكل عربى مثقف أن يقتنيها».

أيضا من بين الكتب التى نشرت فى «مكتبة الدراسات التاريخية»، كتاب المؤرخ الجليل على حسنى الخربوطلى «تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى»، وهو أول دراسة لتاريخ العراق فى

فجر الإسلام، وتناول دراسة أحوال العراق السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالتفصيل، بالإضافة إلى دراسة الحياة الثقافية والدينية منذ الفتح العربى إلى سقوط الحكم الأموى.

وفى السلسلة نفسها، نشر العلامة الدكتور إحسان عباس كتابه القيم «العرب فى صقلية ـ دراسة فى التاريخ والأدب» عام ١٩٥٩م، ولا يقتصر هذا الكتاب على كونه تاريخا لحياة الشعر العربى فى صقلية، وإنما يتناول أيضا تاريخها من النواحى السياسية والاجتماعية والثقافية. يقول مؤلفه فى مقدمته للكتاب «كان أملى حين بدأت هذه الدراسة أن تكون تاريخا لحياة الشعر العربى فى صقلية، ولكنى وجدت أن دراسة الشعر لا يمكن أن تتم دون تعميق فى فهم تاريخ صقلية من نواحيه السياسية والاجتماعية والثقافية. ولذلك قدمت البحث فى هذه الجوانب على البحث فى الشعر، متعمدًا الاستقصاء والاستكثار من الحقائق، بانيا الموضوع بالتدريج دون تحليل كثير أو مقارنات ومقاييسات؛ إذ لا بد فى البدء من تكوين صورة وافية لصقلية الإسلامية فى ناحيتى التاريخ والأدب قبل القيام بالقياس والمقارنة والتحليل».

كذلك من أندر الكتب وأهمها التى عالجت موضوعا صعبًا ومعقدًا، ولم يكن من الميسور الاطلاع على أى مصادر أو نصوص تكشف أو تلقى بعض الضوء على تفاصيله، كتاب المرحوم الدكتور محمد كامل حسين «طائفة الإسماعيلية ـ تاريخها وعقائدها» عام ١٩٥٩م وصنوه «طائفة الدروز ـ تاريخها وعقائدها» عام ١٩٦٢م، وهما كتابان منفصلان متصلان إذا جاز التعبير، يمكن لقارئهما معا أن يعد الكتاب الثانى مكملا ومتما للكتاب الأول إذا أراد.

وكتاب «طائفة الدروز ـ تاريخها وعقائدها»، برغم صغر حجمه وقلة عدد صفحاته (١٣٦ صفحة من القطع الكبير)، هو أول كتاب

فى بابه يتعرض لتاريخ هذه الطائفة وعقائدها اعتمادا على نصوصهم المقدسة وكتبهم الخاصة التى كانوا يخفونها ويضنون بها على غير الخاصة من أهل المذهب أو الطائفة، وقد شرح محمد كامل حسين بعضا من أفكارهم وعرض لآرائهم المذهبية فى إيجاز شديد دون مناقشتها مع الإلمام بالأصول الفكرية والتاريخية والعقيدية التى استقى منها الدروز هذه العقائد. (قاصدا بذلك عرض أصول مذهبهم كما يرونها فى كتبهم دون تدخل منه برأى أو تفسير على أن يكون ذلك فى مؤلف أو كتاب منفصل).

د. محمد كامل حسين

والدكتور محمد كامل حسين، واحد من أنبغ تلاميذ العميد الدكتور طه حسين، وهو أول أستاذ متخصص فى الأدب المصرى فى العصور الإسلامية، وأحد القلائل من العلماء الأفذاذ الذين توفروا على دراسة الحقبة الفاطمية فى مصر وإخراج ونشر وتحقيق نصوصها التراثية النادرة التى كان من الصعب جدا أن تتوافر للباحثين، كما أنه أحد القلائل الذين ألفوا وكتبوا فى تاريخ المذاهب والطوائف الإسلامية، ولم يكتب أحد مثل ما كتب عن طائفتى الدروز والإسماعيلية والشيعة الباطنية عموما. هذا غير تآليفه العظيمة فى تاريخ الأدب المصرى فى العصور الإسلامية وخصوصا العصر الفاطمى..

ومن أبرز عناوين «مكتبة الدراسات التاريخية» التى صدرت فى إطار السلسلة وعنها:

كتاب «مصر والسودان» (فى ٥٧٢ صفحة من القطع الكبير)، للمؤرخ القدير الدكتور محمد فؤاد شكرى، وهذا السفر النفيس، يؤرخ لمصر والسودان فى فترة لم تكن تفصل بين البلدين الشقيقين أى حدود أو حواجز وكانا يشكلان معا

كيانا سياسيا واحدا، ويسجل ما اعتراهما من أحداث وحوادث مؤيدة بالوثائق والأسانيد.

ثم جاء الكتاب الفريد فى بابه، ولم يكتب مثله فى موضوعه، وهو «تاريخ الطباعة فى الشرق العربى»، لرائد تاريخ الصحافة والإعلام الدكتور خليل صابات، صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٦م، ويبحث هذا الكتاب فى نشأة الطباعة فى بلاد الشرق العربى وتطورها، وفى العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التى ساعدت على تقدم هذا الفن أو جموده فى بعض بلاد هذا الشرق، وهو أول بحث من نوعه يعالج هذا الموضوع من الناحيتين الفنية والتاريخية مستندا إلى الوثائق الرسمية والإحصاءات، وهو يبين إلى أى مدى ساهمت الطباعة فى تطور وعى الشرق العربى وإلى أى حد أثرت الصحافة فى تقدم هذا الفن.

وتضمن الكتاب أيضا العديد من الصور النادرة التى تعود بالقارئ إلى الحقبة الأولى من تاريخ الطباعة، كما يعنى عناية خاصة بالتأريخ لبعض دور الطباعة التى مضت بهذا الفن قدما (ومنها أهم مادة توثيقية عن دار المعارف فى دور نشأتها الأولى حينما أسسها نجيب مترى تحت مسمى «مطبعة المعارف ومكتبتها» عام ١٨٩١م).

وكتاب «الهيلينية فى مصر من الإسكندر إلى الفتح العربى»، تأليف سير هارولد إدريس بل، وترجمة د.زكى على، وجاءت هذه الترجمة لكتاب فريد فى تنوعه حيث تناول النظم الدينية والاجتماعية والفكرية والأحداث الكبرى التى جرت فى الحوض الشرقى من البحر المتوسط فى مدة تقرب من ألف سنة، فجاء جامعا فى جملته لتراث علمى جليل، ومفصلا لظاهرة القومية المصرية وصراعها مع تيار الهلينية الجارف فى أول القرن الثالث قبل الميلاد حتى كتب لها النصر.

«سيف الدولة وعصر الحمدانيين»، للأستاذ سامى الكيالى، ١٩٥٩م، ويقع فى ٢٣٥ صفحة من القطع الكبير، وهو أول دراسة

حديثة لعصر الحمدانيين فى الشام، والإمارة الزاهرة التى تأسست على يد سيف الدولة الحمدانى فى القرن الثالث الهجرى.

وكتاب «الفن الحربى فى صدر الإسلام»، للأستاذ عبد الرؤوف عون، ويعرض هذا الكتاب للتكتيكات الحربية الإسلامية ويطبقها فى أشهر معاركهم، ويتحدث عن غنائم الجند وتوزيعها، ومرتباتهم وتطورها الزمنى، والأسرى ومعاملتهم وطرق تبادلهم، ثم يتعرض إلى ذكر الحروب البحرية، وتزين هذا الكتاب بصور ورسوم لأنواع من أسلحة القتال والحصار الخفيفة والثقيلة.

وكان آخر كتاب تم نشره تحت مسمى «مكتبة الدراسات التاريخية» فى العام ١٩٦٥م، كتاب العالم الكبير سليم أنطون مرقس، «حضارات غارقة ـ قصة الكشوف الأثرية تحت البحر»، وهذا كتاب عظيم فى مجال نادر من مجالات التخصص العلمية «تاريخ علوم البحار»، ربما كان الوحيد من نوعه فى تلك الفترة الذى عالج تاريخ منشآت وآثار وحضارات غارقة على سواحل البحر المتوسط، من منظور تاريخى/ علمى، فقد أدى هبوط سواحل البحر الأبيض المتوسط بالنسبة لسطح البحر إلى غرق كثير من المنشآت البحرية؛ مثل الإسكندرية القديمة، و«صور» و«صيدا» على الساحل اللبنانى، و«أبولونيا» على الساحل الليبى، وقد ظلت هذه المنشآت الغارقة مجهولة حتى تطور فن الغوص بدرجة سمحت باستكشافها.